﴿ الفصل الثالث ﴾

طبيعة التصور الإسلامي

ودور القرآن الكريم فيه

obeikandl.com

مقـدمــة .

مفهوم التصور الإسلامي ومقوماته .

١. حقيقة الألوهية .

٢. حقيقة العبودية .

٣. مفهوم العبادة .

٤. مفهوم الدين .

٥. مفهوم الإيمان .

٦. الرسل والرسالة الخاتمة .

٧. كتاب الله واحد .

٨. الكون .

٩. الكون المغيب وكيفية التعامل مع مفرداته .

١٠. الكون المشهود وكيفية التعامل مع مفرداته .

١١. معايير الفصل .

١٢. خلاصة الفصل .

obeikandl.com

مقدمة :

في هذا الفصل سيتناول الباحث المفردات التالية :

أ. مفهوم التصور الإسلامي ومقوماته .

ب. حقيقة الألوهية .

ج. حقيقة العبودية .

د. مفهوم العبادة .

ه. مفهوم الدين .

و. مفهوم الإيمان .

ز. الرسل والرسالة الخاتمة .

ح. الكون المغيب والمشاهد .

وتوجيه القرآن الكريم بالنسبة لكل مفردة من هذه المفردات ، واشتقاق المعيار الذي يمكن استنباطه من هذه المفردات .

مفهوم التصور الإسلامي ومقوماته :

التصور الإسلامي هو : " تصور رباني صادر من الله للإنسان ، تتلقاه الكينونة الإنسانية بجملتها من بارئها ، وعمل الإنسان فيه هو تَلَقّيه ، وإدراكه ، والتكيف به ، وتطبيق مقتضياته في الحياة البشرية " ١ .

ويعرف على مدكور التصور الإسلامي بقوله : " إن التصور الإسلامي هو التفسير الإسلامي الشامل للوجود الذي يتعامل الإنسان على أساسه مع هذا الوجود " ٢ .

وهو يمثل إجرائياً في المقومات الجوهرية الأربعة التالية :

١- حقيقة الألوهية والفرق بينها وبين حقيقة العبودية .

٢- حقيقة الكون غيبه وشهوده .

٣- حقيقة الحياة غيبها وشهودها ونظمها وتكاليفها المتنوعة .

٤- حقيقة الإنسان من حيث مركزه في الكون ووظيفته في الحياة .

وهذا التصور الإسلامي الرباني له خصائصه التي تميزه عن سائر التصورات وتجعل له شخصيته المستقلة ، وطبيعته الخاصة ، التي لا تلتبس بتصور آخر ، ولا تُستمد من تصور آخر ؛ إنه صادر من الله للإنسان ؛ إنه تصور رباني جاء من عند الله بكل خصائصه ، وبكل مقوماته وتلقاه الإنسان كاملاً بخصائصه هذه ومقوماته ، فليس للإنسان الحق في أن يزيد عليه من عند نفسه شيئا ، ولا لينتقص منه شيئا ، ولكن المطلوب من الإنسان أن يتكيف به ،

---

١ سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط١٢، دار الشروق - القاهرة ،١٤١٣هـ ١٩٩٢م ص٤٤ .

٢ علي أحمد مدكور: منهج تدريس العلوم الشرعية ، الرياض -دار الشواف ١٩٩١م ص٢٣ .

obeikandi.com

ويطبق مقتضياته في حياته .

وهو ثابت غير متطور في ذاته ؛ لأنه جاء كاملا ، مبرأ من كل نقص ؛ ولذا تتطور البشرية في إطاره ولا يحتاج هو منها إلى إزالة النقص عنه بكمال تضيفه هي إليه . ولذا يقول سيد قطب : " وهو من ثم تصور غير متطور في ذاته ، إنما تتطور البشرية في إطاره وترتقي في إدراكه وفي الاستجابة له . وتظل تتطور وترتقي وتنمو وتتقدم ، وهذا الإطار يسعها دائما ، وهذا التصور يقودها دائما ؛ لأن المصدر الذي أنشأ هذا التصور هو نفسه المصدر الذي خلق الإنسان ، هو الخالق المدبر ، الذي يعلم طبيعة هذا الإنسان ، وحاجات حياته المتطورة على مدى الزمان . وهو الذي جعل في هذا التصور من الخصائص ما يلبي هذه الحاجات المتطورة في داخل هذا الإطار . . . . وهو من ثم - كامل متكامل . لا يقبل تنمية ولا تكميلا ، كما لا يقبل - قطع غيار - من خارجه فهو من صنع الله ، فلا يتناسق معه ما هو من صنعة غيره . والإنسان لا يملك أن يضيف إليه شيئا ، ولا أن يعدل فيه شيئا . إنما هو جاء ليضيف إلى الإنسان . لينميه ويعدله ويطوره ويدفع به دائما إلى الأمام . . وهو من ثم شامل متوازن منظور فيه إلى كل جوانب الكينونة البشرية أولاً . ومنظور فيه إلى توازن هذه الجوانب وتناسقها أخيراً ، ومنظور فيه كذلك إلى جميع أطوار الجنس البشري ، وإلى توازن هذه الأطوار جميعا . بما أن صانعه هو صانع هذا الإنسان الذي خلقه ، والذي يعلم من خلقه وهو اللطيف الخبير فليس أمامه - سبحانه وتعالى - مجهول بعيد عن آفاق النظر من حياة هذا الجنس ومن الملابسات التي تحيط بهذه الحياة ، ومن ثم فقد وضع له التصور الصحيح الشامل لكل جوانب كينونته ، ومع كل أطوار حياته ، التصور الواقعي المتناسق مع كينونته ومع كل ظروف حياته . وهو من ثم الميزان الوحيد الذي يرجع إليه الإنسان في كل مكان ، وفي كل زمان ، بتصوراته وقيمه ومناهجه ونظمه ، وأوضاعه وأحواله ، وأخلاقه وأعماله . . ليعلم هو أين هو من الحق ، وأين هو من الله ، وليس هنالك ميزان آخر يرجع إليه ، وليس هنالك مقررات سابقة ولا مقررات لاحقة يرجع إليها في هذا الشأن . . . إنما هو يتلقى قيمه وموازينه من هذا التصور . ويكيف بها عقله وقلبه ، ويطبع شعوره وسلوكه ، ويرجع في كل أمر يتعرض له إلى ذلك الميزان " [٣] ، قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (النساء : ٥٩) ، ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (إبراهيم : ١) ، ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (المائدة : ٤٨) ، ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا . . ﴾ (النور : ٥٤) ، ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . . ﴾ (الحشر : ٧) ، ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . ﴾ (الإسراء : ٩) .

والتصور الإسلامي كما يفهم من كلام سيد قطب يرحمه الله له منبع ومصب ؛ أما منبعه فهو القرآن الكريم . كلام الله - سبحانه وتعالى - الذي توجه به الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى هذه الأمة ليهديها إلى صراط الله المستقيم ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير

---

٣ انظر سيد قطب : مرجع سابق ، ص ص ٤٠ - ٤٣ .

الأمور ﴾ (الشورى: ٢٥٣) . وهذا القرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - بعمله وقوله وخلقه . . . . وكل ما يمثل سنته المطهرة تحديد لهذا المنبع الذي ينول كل شيء فيه إلى الله عز وجل . ويصب هذا المنبع في الإنسان المُتلقي بكل كينونته: روحا وعقلا وقلبا . . ليتمثل بما يتلقاه بكل ما أُوتي من قوى موهوبة له من الخالق القدير - سبحانه وتعالى - به في عقيدته وقوله وعمله في فرديته وفي مجتمعه وفي سياسته وفي اقتصاده وفي حركته وفي سكونه، في سره وعلنه، في سلمه وفي حربه، في ليله وفي نهاره، في مظهره وفي باطنه، مع من هو دونه ومع من هو فوقه، ودون أن يعتقد أن تصوراً ما يدانيه أو يفضله أو يحتاج إلى شيء منه يكمل فيه نقصا، أو يقوم فيه عوجا، أو يُنحي منه زيادة . بل هو بهذا الكمال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (يونس: ٥٧) .

ونستخلص من هذا أن التصور الإسلامي هداية من الله يستجيب لها الإنسان الموفق للخير ويتأثر بها بكليته؛ فهماً وعقيدةً وعملاً ويظهر ذلك منه في فهمه حقيقةَ الألوهية، وحقيقةَ الكون، وحقيقةَ الحياة، وحقيقةَ الإنسان والعلاقة بين هذه الحقائق، وما يجب عليه نحو هذه الحقائق كلها .

أهمية فهم التصور الإسلامي:

وترجع أهمية فهم التصور الإسلامي وإدراكه إلى أمور عديدة من أهمها:

١. أن الإنسان موجود في هذا الكون، وعليه أن يتفاعل بإيجابية مع كل ما فيه قال تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾ (الأعراف: ١٨٥) . وقال تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ (يونس: ١٤) وقال سبحانه: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران: ١٩٠ - ١٩١) .

٢. وإذا ما استطاع المسلم إدراك هذه الحقائق المحيطة به في هذا الكون وتفاعل معها كما يوجهه التصور الإسلامي، فهم حقيقة مركزه في الكون، وغاية وجوده الإنساني، وحدد منهج حياته، ونوع النظام الذي يحقق هذا المنهج، واستطاع أن يفرق بينه وبين المناهج الضالة، فيتبع منهج الله، ولا يتبع سواه، استجابة لقول المولى سبحانه: ﴿ اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ (الأعراف: ٣) . ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (المائدة: ٤٨)، ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليُّ المتقين ﴾ (الجاثية: ١٨، ١٩) .

٣. إنه من خلال معرفة الإنسان لحقيقة مركزه في هذا الكون، وأنه مستخلف في هذه الأرض يعمرها وفق منهج الله تعالى فإن ذلك كفيل بأن يجعل منه عنصرا فعالاً في بناء هذه الأمة التي قُرنت خيريتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . ﴾ (آل عمران: ١١٠) .

١ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على مفهوم

التصور الإسلامي وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لهذا التصور .

مقومات التصور الإسلامي :

وللتصور الإسلامي مقومات أساسية يتألف منها قوامه ، ويقوم عليها كيانه مثلما أن له خصائص تتميز بها ملامحه ، وتنفرد بها شخصيته . وهذه المقومات ثابتة وغير قابلة للتعديل ، وغير قابلة للتطوير ؛ لأنه بها يأخذ ملامحه المستقلة ، التي جاء ليطبعها في الضمير البشري ، وليقيم عليها منهجه الواقعي ، ونظامه العلمي وليحول بها خط سير التاريخ الإنساني ، وليعلن بها ميلاد " الإنسان الجديد " إذ يعلنه إلغاء عبودية الإنسان للإنسان ، كما يعلنه إلغاء عبودية الإنسان للأشياء والأحياء ، في كل صورها وأشكالها وذلك بإعلان عبودية الإنسان لله وحده بلا شريك . ثم ليقرر الموازين التي يرجع إليها البشر في هذا كله ، ولا يرجعون إلى غيرها في شأن واحد من شئون الحياة الإنسانية إلى آخر الزمان ٤ .

وأولى هذه المقومات فهم حقيقة الألوهية والتفريق بينها وبين حقيقة العبودية .

حقيقة الألوهية :

الحقيقة الأولى ، والحقيقة الفاعلة في التصور الإسلامي هي : حقيقة الألوهية ، لذا فالتصور الإسلامي يبدأ منها ؛ لأنها هي التي يصدر عنها الوجود كله ، ثم يسير مع هذا الوجود في كل صوره ، ويعني عناية خاصة بخليفة الله في الأرض – الإنسان – فيُعطيه مساحة واسعة من الصورة ، ثم يعود بالوجود كله مرة أخرى إلى الحقيقة الإلهية التي صدر عنها وإليها يعود . والتصور الإسلامي لحقيقة الألوهية يشمل كل دقائق الكون . لا يغادر منها شيئا يقع في محيطه ، سواء منها ما تدركه الحواس ، وما لا تدركه ، وما يدركه العقل بوعيه ، وما تدركه الروح فيما وراء الوعي ، ويشمل كل نشاط الإنسان وكل طاقاته : سواء نشاطه المادي ، ونشاطه الروحي وسواء حياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وسواء عمله في الحياة الدنيا وفيما وراء هذه الحياة .

إن المنهج القرآني يجلي حقيقة الألوهية بآثارها الفاعلة في هذا الوجود . في الخلق والتدبير ، في تصريف هذا الكون وما فيه ، ومن فيه ، في تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، في إيلاج الليل في النهار ، وإيلاج النهار في الليل ، في إرسال الرياح لواقح ، وإنزال الماء من السماء ، في انشاق الحياة من الموت وانشاق الصبح من الظلام ، في إخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي في بدء الخلق وإعادته ، في القبض والبسط ، في البعث والنشور ، في النعمة والنقمة ، في الجزاء والحساب ، في النعيم والثواب في كل حركة وكل انبثاقة ، وكل تغيير وكل تطور ، في عالم الغيب وفي عالم الشهادة ، في هذا الوجود الكبير ٥ .

٢ – ولهذا يجب أن تنص أهداف مقرر القرآن الكريم في مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على حقيقة الألوهية من خلال آثار صفات الله الفاعلة في هذا الوجود ، وأن يتضمن محتوى

٤ سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، ط٢ القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص١٥ .

٥ انظر: سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، ط٤ القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص٨١ .

هذا المقرر – موضوع البحث – من النصوص القرآنية ما يتعرف منه التلاميذ على هذه الحقيقة .

ومن التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . . واني بريء مما تشكرون ﴾ (الأنعام : ١ – ١٩) ، ﴿ قل إني نهيتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله . . . لعلهم يفقهون ﴾ (الأنعام : ٥٦ – ٦٥) ، ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت . . . وهو اللطيف الخبير ﴾ (الأنعام : ٩٥ (١٠٣) ، ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد . . . وهو الواحد القهار ﴾ (الرعد : ٨ – ١٦) ، ﴿ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، له ما في السموات والأرض يحي ويميت وهو على كل شيء قدير . . . . . وهو عليم بذات الصدور ﴾ (الحديد : ١ – ٦) . في هذه النماذج يتمثل على وجه الإجمال وجود الله – سبحانه وتعالى – وحضوره وقدرته ، وآثار هذه القدرة في صفحات الكون ، وفي أغوار النفس ، وفي أحداث الحياة " وفيها تتنوع مقومات التصور الإسلامي وتتوزع ثم تتضامُّ بعد ذلك وتتجمع ؛ لتكون " الكل " الذي يشخص ويمثل ذلك التصور . . هذا " الكل " هو العبودية لله وحده بلا شريك ، والدينونة لله وحده بلا منازع ، وشمول هذه العبودية لكل شيء في هذا الوجود في عالم الغيب ، وفي عالم الشهادة ، والحياة الدنيا وفي الآخرة ، وفي نظام الكون ، وفي حياة الناس ، وتفرد هذه الألوهية الواحدة بخصائصها ، وتجرد هذه العبودية من هذه الخصائص . هذه هي قاعدة التصور الإسلامي الأساسية (١) فالتصور الإسلامي يفصل فصلا تاما بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية ، فهما لا يتماثلان ولا يتداخلان ، كذلك يبين التصور الإسلامي بيانا حاسما من هو الله صاحب الألوهية ومن هم العبيد الذين تتمثل فيهم العبودية "٦ .

٣ – ولذا ينبغي أن تؤكد أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على أن الألوهية الحقة إنما هي لله الواحد القهار ، وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم هذه الحقيقة .

ومن التوجيه القرآني في ذلك قوله سبحانه : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ (البقرة : ٢٥٥) ، ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ (مريم : ٩٣) ، " وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد ﴾ (النمل : ٥١) ، ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ، ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ (المؤمنون : ٩١) . وكذلك يجب أن يعرف التلاميذ أثر قدرة الله الواحد الأحد في الكون فعنها صدرت كل الخلائق قال تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ (الأنعام : ١٠٢) ومن الجدير بالذكر أن المنهج القرآني لم يشأ أن يُعرفنا بالحقيقة الإلهية من حيث الذات في صورتها التجريدية ؛ لأن الكينونة البشرية أصغر وأضعف في قدرتها المحدودة وإمكاناتها العاجزة عن أن تدرك الذات الإلهية . قال تعالى : ﴿ لا

٦ سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي – مرجع سابق ، ص٨١ .

تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (الأنعام: ١٠٣) وكما يقول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – عن الحقيقة الإلهية "هي في طبيعتها الكلية المطلقة الأزلية الأبدية أكبر من مجال إدراك الكينونة البشرية الجزيئة المحدودة الحادثة الفانية، ولكن حسب الإنسان منها ما يصح به تصوره، وما يستقيم به فكره، وما يصلح به ضميره، وما تنتظم به حياته، وما يعرف به حقيقة مركزه، ودائرة سلطانه، ومقتضيات عبوديته لهذه الألوهية. وهو قادر على إدراك هذا القدر عن تلك الحقيقة الكلية المطلقة الأزلية الأبدية. القدر الذي لا يصلح له تصور، ولا يستقيم له فكر، ولا يصلح له ضمير، ولا تنتظم له حياة، ولا يتحدد له اتجاه ولا يفلح له سعي. ولا يقبل منه عمل إلا حين يصح إدراكه له. لا إدراك "الفكرة" أو النظرية ببرودتها الساكنة! ولكن إدراك "العقيدة" بحيويتها الدافقة، وإلا حين يقوم خلقه وسلوكه، وتقوم حياته وأوضاعه وتقوم شرائعه وقوانينه، وتقوم قيمه وموازينه، وتقوم معرفته وثقافته ويقوم نشاطه كلُّه في الحياة كلها على أساس هذه العقيدة" ٧. وإذا كان هذا عن حقيقة الألوهية فما حقيقة العبودية؟.

حقيقة العبودية ومفهوم العبادة:

مفهوم العبادة هو تحقيق منهج الله في واقع الحياة ابتداء من الشهادتين إلى الصلاة والزكاة والصيام إلى أصغر أنواع المشاعر والسلوك. والعبادة عاطفة فطرية، مغروزة في خلق الإنسان، تدفعه إلى تلمس إله للعبادة فالعبادة فطرية لا يختلف حالها في نفوس البشر عن سائر العواطف الإنسانية الأخرى، لكن إشباع هذه الحاجة، أو العاطفة الفطرية المغروزة في خلق الإنسان من يوم أن خلقه الله، تختلف باختلاف مراحل التاريخ الإنساني، وباختلاف الجماعات الإنسانية وباختلاف الأفراد. فكما يختلف الناس في أساليب إشباعهم لحاجات الطعام والشراب واللباس والجنس.. إلخ؛ فكذلك يختلفون في تصوراتهم لعبادتهم ومعبوداتهم وآلهتهم" ٨. والأديان السماوية إنما جاءت لتعدل الغرائز وتوجهها الوجهة السليمة التي تتمشى مع فطرة الله في خلقه. وفطرة الله في خلقه قابلة لتشرب التوجيه الصحيح والانقياد له ومسايرته؛ لذا لم يكتف المولى بالفطرة التي فطر الناس عليها، وإنما أعانهم بالرسل يوجهونهم إلى العبادة الصحيحة التي تقبل منهم، ويثابون عليها، وأمدهم بالرسالات تقدم إليهم المنهج الواضح الذي إن ساروا على هديه أفلحوا وأشبعوا حاجاتهم الروحية واستقاموا في حياتهم الاجتماعية. ورضي الله عنهم بذلك، ورضوا عنه؛ لأنهم وجدوا ضالتهم التي ينشدونها، واستجابوا لداعي الخير من قبل مولاهم الذي ما خلقهم إلا لعبادته؛ قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات: ٥٦ (٥٨). قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب "العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل" وقال أيضا "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة". وقال ابن القيم "ومدارها – أي العبادة – على خمس عشرة قاعدة، من كمّلها كمّل

---

٧ سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي، ط٢، دار الشروق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص١٨٧.

٨ علي أحمد مدكور: المفاهيم الأساسية لمناهج التربية، مرجع سابق، ص١٢٤.

مراتب العبودية ، وبيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب ، واللسان والجوارح . والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ، وحرام ، ومستحب ، ومكروه ، ومباح ، وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح " . وقال القرطبي " أصل العبادة : التذلل والخضوع ، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ؛ لأنهم يلزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى ، وقال ابن كثير : " العبادة في اللغة من الذِلّة ، يقال طريق معبد ، وغير معبد ، أي مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف " وهكذا ذكر غيرهم من العلماء .

ومعنى الآية : أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته ، فهذا هو الحكمة في خلقهم ، ولم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام ، بل هو الرزاق ذو القوة المتين ، الذي يُطعِم ولا يُطعَم ، كما قال تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم . قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام : ١٥) .

وعبادته – سبحانه وتعالى – هي طاعته بفعل المأمور ، وترك المحظور ، وذلك هو حقيقة دين الإسلام ؛ لأن معنى الإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد ، في غاية الذل والخضوع . وقال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – في الآية : " إلا لآمرهم أن يعبدوني ، وأدعوَهم إلى عبادتي " . وقال مجاهد – في الآية – : " إلا لآمرهم وأنهاهم " ، واختاره الزجاج وشيخ الإسلام ، قال : ويدل على هذا قوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (القيامة : ٣٧) قال الشافعي " لا يؤمر ولا ينهى " ٩. فالعبودية إذن هي منتهي الخضوع والذلة لله سبحانه وتعالى – بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وهي كذلك منتهى العزة ونهاية الفخر بحصول الخلاص من عبادة المخلوقين والتفرغ لعبادة الخالق دون شريك له في عبادته ودون ما تقصير أو تفريط . والعبادة اسم جامع لكل ما يحقق الالتزام بالاستجابة لكل أمر ورد في منهج الإسلام والابتعاد عن كل نهي جاء فيه من عقيدة وقول وعمل وخلق وسلوك ويدخل في ذلك الإسلام بأسسه ، والإيمان بأركانه ، والإحسان بخصائصه ، والجهاد بأنواعه ومقتضيات الاستخلاف في الأرض ، وحق عمارتها على الوجه الأكمل ، ومتطلبات قيادة البشرية إلى الكمال الإنساني حتى لا تكون عبادة إلا لله ، ولا خوف إلا منه ، ولا رجاء إلا لرحمته ولا لجوء إلا إليه ، ولا انتظار إلا للقائه – سبحانه وتعالى – في الفردوس الأعلى وهذه هي حقيقة الوحدانية عمليا ولذا يقول " مدكور " : من أهم خواص المنهج الإسلامي أنه منهج عبادة للواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . والعبادة في هذا المنهج ليست مقصورة على مناسك التعبد المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وحج . . . وإنما يتميز مفهوم العبادة في الإسلام بأنه أعمق بكثير من كل هذا ، إن العبادة هي العبودية لله وحده والتلقي من الله وحده في كل أمور الدنيا والآخرة . . إنها الصلة الدائمة بالله في جميع الأحوال . والعبادة على هذا النحو – في التصور الإسلامي – تتمثل في أمرين :

الأمر الأول : هو الاعتراف بوجود الله الواحد الأحد ، الذي لا شيء غيره معه ، وليس كمثله شيء ، ولا

---

٩ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ط٧ ، بيروت – المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ص٤٦ -٤٧ .

حقيقة لوجود دائم إلا لوجوده ، ولا حقيقة لفاعلية إلا لفاعليته ، ولا أثر لإرادة إلا لإرادته . ولا توجه حقيقيا في الرغبة والرهبة ، وفي السراء والضراء ، في النعماء والبأساء ، إلا إليه .

الأمر الثاني : هو الأخذ بالسنن الإلهية ، التي يسير الكون بموجبها ، فالله سبحانه جعل الإنسان خليفة في الأرض ليعمرها ، ويرقي الحياة على ظهرها ، ومقتضى العبادة أن يأخذ المؤمن بالأسباب التي تُعينه على عمارة الأرض ، واستغلال ما أودع فيها من كنوز وثروات وطاقات ، على أن يستقر في عقله وقلبه في جميع الأحوال نفي فاعلية الأسباب الظاهرة ورد كل شيء وكل حدث وكل حركة إلى السبب الأول الذي منه صدرت ، وبه تأثرت .

وقد عني القرآن الكريم بتقرير هذه الحقيقة في التصور الإيماني ؛ ولذلك فهو دائما ينحي الأسباب الظاهرة ، ويصل الأمور مباشرة بمشيئة الله ، قال تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ﴾ (الأنفال : ١٧) ، ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ (الأنفال : ١٠) ، ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (الإنسان : ٣٠) ١٠ .

والإسلام يوسع مفهوم العبادة لتشمل كل الحياة ليس حياة الإنسان فقط بل حياة كل المخلوقات ولذا يقول - سبحانه وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) ، ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (الإسراء : ٤٤) .

يقول محمد قطب " الإسلام يوسع مفهوم العبادة حتى تشمل كل الحياة . فكل عمل يتوجه به الإنسان إلى الله فهو عبادة ، وكل عمل يتركه الإنسان تقربا لله واحتسابا فهو عبادة ، وكل شعور نظيف في باطن النفس فهو عبادة ، وكل امتناع عن شعورها به من أجل مرضاة الله فهو عبادة ، وكل ذكر لله في الليل والنهار فهو عبادة ، ومن ثم تشمل العبادة الحياة ويصبح الإنسان عابدا لله حيثما توجه إلى الله " ١١ .

٤ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مقرر القرآن الكريم في مرحلة التعليم الأساسي على أن يتعرف التلاميذ على مفهوم العبادة في الإسلام الذي هو أعم من أركان الإسلام الخمسة ، وضرورة أن يتضمن مقرر القرآن الكريم نصوصا متنوعة تحت عنوان " العبادة " .

وهذه النصوص منها ما يشمل العقيدة مثل : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله . . ﴾ (محمد : ١٩) ، ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (آل عمران : ١٨) ، ﴿ محمد رسول الله . . ﴾ (الفتح : ٢٩) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (النساء : ١٣٦) ، ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده . . ﴾ (الحج : ٧٨) مما يشمل الجهاد . ومثل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ (المائدة : ٥١) في الولاء والبراء . ومثل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (المائدة : ٩٠) في حكم

---

١٠ علي أحمد مدكور : المفاهيم الأساسية لمناهج التربية ، مرجع سابق ، ١٢٤)١٢٥ .

١١ محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ١٩٨٢م ، ص٦٧ .

الخمر ، ومثل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ (البقرة : ٢٧٨) في حكم الربا ، ومثل : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (الأعراف : ١٩٩) في الأخلاق ، ومثل : ﴿ وقولوا للناس حُسناً ﴾ (البقرة : ٨٣) في حسن القول ، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم : عقيدة وعملا وخلقا ومخبرا ومظهرا وسيرة ومعاملة مع الغير ومع النفس ومع الله ، ولو كان خاطرة في القلب ؛ مثل : ﴿ . . . إن يعلمِ الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أُخذ منكم ويغفر لكم ﴾ (الأنفال : ٧٠) ، أو إرادة في النفس مثل : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ (الحج : ٢٥) تصريحاً أو تعريضا سراً أو جهرا ؛ مثل : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم " (البقرة : ٢٣٥) ، وأن العمل بما تقتضيه هذه النصوص إيجابا أو سلبا – حسب متطلباتها – عبادة ، ومن الجامع لذلك ولغيره قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " (الأنعام : ١٦٢-١٦٣) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (فاتحة الكتاب:٥) . وبذا يتضح أن الألوهية لله وحده ، لأنه الفرد الصمد الموجد لما سواه ، وأن العبودية لغيره ؛ لأن هذا الغير محتاج إلى الله في كل أموره . قال تعالى : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ (مريم : ٩٣) وهذا هو الفرق بين الألوهية والعبودية .

٥ – ولذا ينبغي ان تنص أهداف المرحلة – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على الفرق بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، وعلى المحتوى أن يوضح ذلك . مع التأكيد على مفهوم العبودية الذي يشمل كل أنواع السلوك الإنساني بما في ذلك المعاملات .

وإذا تعرفنا على حقيقة الألوهية ، وتعرفنا كذلك على حقيقة العبودية من التصور الإسلامي . فتوجه العابد بعبوديته – مخلصاً لله – هو الدين المنشود في التصور الإسلامي – قال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص ﴾ (الزمر : ٢ (٣) وقال تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ (الزمر : ١١(١٢) . وقال تعالى : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ (الزمر : ١٤) .

فكيف يكون الإخلاص في العبادة حتى يتحقق مفهوم الدين للعابد في التصور الإسلامي ؟ . وما حقيقة التصور الإسلامي للدين ؟ هذا ما ستجيب عنه المفردة الآتية .

مفهوم الدين في التصور الإسلامي :

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم في استعمال كلمة – الدين – ظهر لنا أمران :

– الأمر الأول : أن القرآن الكريم استعمل كلمة – دين – بمعانيها اللغوية عند العرب . فتكون هذه المعاني بعض ما يريده القرآن الكريم من كلمة دين ، ومن هذه المعاني ما يأتي :

١- الجزاء والحساب ، قال تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ (الفاتحة : ٤) أي يوم الحساب والجزاء ١٢ .

٢- القانون والنظام الفكري والعملي ، والأحكام ، وطرائق العبادة ، وبهذا المعنى وردت كلمة الدين في قوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (الشورى : ٢١) ١٣ .

٣- الإذعان والخضوع والطاعة ، قال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ (البينة : ٥) أي مخلصين له الخضوع والإذعان والطاعة ، متحنفين عن الشرك إلى التوحيد ١٤ .

- الأمر الثاني : استعمل القرآن الكريم كلمة الدين بمعنى واسع جدا يشمل جميع المعاني السابقة وزيادة عليها استعملها بمعنى النظام والمنهج الكامل للحياة على مختلف النواحي ، والموضوع من قبل ذي سلطة عليا تكافئ الإنسان على طاعته لهذا النظام ، أو تمرده عليه ، وبهذا المعنى الواسع وردت كلمة - الدين - في قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) قال الأستاذ سيد قطب - يرحمه الله - في تفسير هذا القول الكريم " الإسلام الذي ليس مجرد دعوى ، وليس مجرد راية ، وليس مجرد كلمة تقال باللسان ، ولا حتى تصورا يشتمل عليه القلب في سكون ، ولا شعائرَ فردية يؤديها الأفراد في الصلاة والحج والصيام . . لا فليس هذا بالإسلام الذي لا يرضى الله من الناس دينا سواه ، إنما الإسلام الاستسلام ، الإسلام الطاعة والاتباع ، الإسلام تحكيم كتاب الله في أمور العباد . . . " ١٥ ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ (آل عمران : ٨٥) يقول سيد قطب يرحمه الله " الإسلام الذي يَدين به الكون كله ، في صورة خضوع للنظام الذي قرره الله ودبره له .

ولن يكون الإسلام إذن هو النطق بالشهادتين ، دون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله معناها وحقيقتها وهي توحيد الألوهية ، وتوحيد القوامة ، ثم توحيد العبودية ، وتوحيد الاتجاه . ودون أن يتبع شهادة أن محمدا رسول الله معناها وحقيقتها . وهي التقيد بالمنهج الذي جاء به من عند ربه للحياة ، واتباع الشريعة التي أرسله الله بها . والتحاكم إلى كتاب الله الذي حمله إلى العباد .ولن يكون الإسلام إذن تصديقا بالقلب بحقيقة الألوهية والغيب والقيامة وكتب الله ورسله . . . دون أن يتبع هذا التصديق مدلوله العملي . . . ولن يكون الإسلام شعائر وعبادات . . دون أن يتبع هذا كله آثاره العملية ممثلة في منهج للحياة موصول بالله الذي تتوجه إليه القلوب بالعبادات والشعائر والإشراقات والسيمات ، والذي تستشعر القلوب تقواه فتتهذب وترشد . . فإن هذا كله معطل لا أثر له في حياة البشر مالم تنصب آثاره في نظام اجتماعي يعيش الناس في إطاره النظيف الوضيء .

هذا هو الإسلام كما يريده الله ، ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر في جيل منكود من أجيال الناس لا كما تصوره رغائب أعدائه المتربصين به ، وعملائهم هنا أوهناك ! ١٦ ، وقوله سبحانه ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (المائدة : ٤٨) قال النسفي " فقال في الأول يحكم بها النبيون وفي الثاني وليحكم أهل الإنجيل .

---

١٢ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ؛ جـ٤ ، دار المعارف بيروت . ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م ، ص٢٥ .

١٣ المرجع السابق ، جـ٤ ، ص١١١ .

١٤ المرجع السابق ، جـ٤ ، ص٥٣٧ .

١٥ سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ١ ، ط١٠ ، القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ؛ دار الشروق . ص٣٨٠ .

١٦ سيد قطب : في ظلال القرآن : ص٤٢٣ المرجع السابق .

وفي الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله " ١٧ ، فشرعة الإسلام ومنهاجه للمسلمين لحكم حياتهم – عبادة ومعاملة – حكماً شاملاً لا يستثنى منه أمر ما يترك لأهوائهم أو لأهواء غيرهم ؛ وذلك لأن الدين في هذه الأيات جاء بمعنى النظام للحياة في مختلف النواحي ، كما أن هذه الآيات تقرر أن الدين الحق – بهذا المعنى الواسع – المرضي والمقبول عند الله هو ما وضعه الله تعالى لعباده ورضيه لهم إسلاما فمن وفى به عقيدة وعملا وسلوكا . . . فاز برضوان الله وإلا فقد خسر خسرانا مبينا .

يقول الشافعي " الدين بصفة عامة ، والسماوي بصفة خاصة ، والإسلامي بصفة أخص : نظام عام شامل ينظم جوانب الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية . . إلخ ولهذا كان كل متخصص في ناحية من هذه النواحي له اهتمامه بالدين ، وله زاوية معينة يتناوله منها " ١٨ .

ويقول محمد عبدالقادر أحمد " فإذا قلنا الدين أردنا به النظام الكامل للحياة في جميع النواحي : الاعتقادية والأخلاقية والعبادية والعملية ، الذي شرعه الله للبشر ، وأمرهم باتباعه ، والتقيد به خضوعا لله ، وطاعة له ، فإن الله سيكافئهم في الآخرة على طاعتهم لهذا النظام ،أو تمردهم عليه ، وهذا هو تعريف الدين " ١٩.

تعريف الدين :

من كل ما تقدم يتضح لنا أن الدين الإسلامي هو الإلتزام بالنظام الكامل للحياة في جميع النواحي – الاعتقادية والأخلاقية والعبادية والعملية – الذي شرعه الله للبشر ، وأمرهم باتباعه ، والتقيد به خضوعا لله ، وطاعة له ، وأن الله سيكافئهم في الآخرة على طاعتهم لهذا النظام ، أو تمردهم عليه .

وبهذا يتضح لنا أن الدين له مجالان :

- المجال الأول التصور الاعتقادي .
- المجال الثاني النظام الاجتماعي .

١. المجال الأول : التصور الاعتقادي للوجود ، ومصدره وغايته ، وللكون والإنسان والحياة ، ولطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه العناصر جميعا .

٢. المجال الثاني : هو النظام الاجتماعي الذي ينبثق انبثاقا حيويا وفطريا من التصور الاعتقادي ٢٠ .

والنظام الاجتماعي مجال لتحقيق أثر التصور الاعتقادي وثمرة له إذ إن الاعتقاد ليس مقصودا لذاته ، وإنما القصد منه ما يترتب عليه في الإسلام من تحقيق الخلافة في الأرض وعمارتها على ضوء التصور العقدي الذي حددته

---

١٧ النسفي : أسرار التنزيل جـ٢ ، ص٢١٣ .

١٨ إبراهيم محمد الشافعي: التربية الإسلامية وطرق تدريسها ط٢ ، مرجع سابق ، ص١٥ .

١٩ محمد عبدالقادر أحمد: طرق تعليم التربية الإسلامية ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨١م .

٢٠ انظر: أبوالأعلى المودودي معنى كلمة " الدين " في " كتاب المصطلحات الأربعة " .
وانظر أيضا سيد قطب: المستقبل لهذا الدين – دار الشروق ، تحت عنوان كل دين منهج حياة ص١٢) ١٥ .

قواعد الدين الإسلامي ، ولو أن التصور الإسلامي الصحيح لم يظهر الأثر المنشود منه في المجال الاجتماعي لما تحقق الهدف المقصود من العقيدة وحدها ؛ إذ إنها – والحالة هذه – لا ثمرة لها ، ولا فائدة من وجودها ؛ يقول المودودي وسيد قطب : إن الدين مفهوم يشتمل على مجالين مترابطين ومتلازمين . . لكن الثاني منهما ينبثق من الأول ، المجال الأول هو " التصور الاعتقادي " للوجود ومصدره وغايته للكون والإنسان والحياة ، ولطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه العناصر جميعا .

والمجال الثاني هو " النظام الاجتماعي " الذي ينبثق انبثاقا حيويا وفطريا من التصور الاعتقادي فغاية أي نظام اجتماعي ينبغي أن تكون هي تحقيق غاية الوجود الإنساني كما هي مرسومة في التصور الاعتقادي وبناء على ذلك فإن كل دين هو منهج للحياة . . بما أنه تصور اعتقادي وما ينبثق منه من نظام اجتماعي ، فهو منهج يحكم كل نشاط الإنسان في هذه الحياة الدنيا .

وبما أن كل دين هو منهج حياة ، فإن كل منهج للحياة هو دين ، فدين الجماعة من البشر هو المنهج الذي يصرف هذه الجماعة ٢١ .

وفي ضوء ما تقدم نستطيع اشتقاق المعيار :

٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على مفهوم الدين في التصور الإسلامي الذي هو عقيدة تنبثق منها شريعة لجميع شئون الحياة ، مصدرها الأول القرآن الكريم لتتحقق منهم الممارسة العملية على ضوء هذا الفهم ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص القرآنية .

وفيما يلي يورد الباحث توجيه القرآن الكريم في هذين المجالين :

– التصور الاعتقادي . – التطبيق له بالنظام الاجتماعي .

إن الدين الإسلامي يقوم على تصور عقدي رباني يتلقاه المسلم بكل كينونته ليتبعه دون ما تغيير فيه بزيادة أو نقصان ، ويطبقه في كل مظاهر حياته مهتديا في ذلك بالكيفية التي نفذ بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه ذلك التصور وذلك التلقي وذلك الاتباع .

والقرآن يوجه الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى العقيدة الصحيحة لنقتدي به في ذلك فيقول له : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ (محمد : ١٩) ، ويشهد الله على صدق هذه الوحدانية لألوهيته التي لا تتعداه إلى غيره ويضم إلى شهادته – سبحانه – شهادة الملائكة وأولي العلم فيقول سبحانه : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (آل عمران : ١٨) ، كما يُوحي الله توجيها عاما في ذلك لكل الخلق في قوله ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ (النحل : ٥١) ، ثم يؤكد الله على الجميع في الاستقامة على ذلك فيقول ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ (هود : ١١٢) ، ويوجه القرآن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأمته إلى أن الله – سبحانه وتعالى – لم يَأمر بأمر أو ينهى بنهي ثم يغيب عن عباده ، كلا

---

٢١ علي أحمد مدكور: منهج التربية ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

عن عباده ، كلا وإنما هو معهم يشاهدهم ويشهد عليهم ليكونوا على ذكر منه دائما فيقول سبحانه : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ (يونس : ٦١) . فعقيدة المسلم وتصوره الإسلامي يجعلانه مع الله دائما بقلبه وعقله وفكره وعقيدته وعمله . . . : إذ يستحضر المسلم دائما قول الله سبحانه : ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ .

والتصور الاعتقادي في الإسلام هو التلقي عن الله فهو يمثل القاعدة التي تتلاقى مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها والتي تم الرضا بها أزلا والتي لا تتحقق إلا بالتطبيق العملي في النظام الاجتماعي . والسير على مقتضى هذه العقيدة الفطرية يحقق العبادة التي تصدر عن تحرير الوجدان من كل شائبة فلا يُعبد إلا الله ولا يُخشى إلا الله ، ولا يُرجى إلا الله ، ولا يُستعان إلا بالله ، ولا يعتز إلا بطاعة الله ورسوله ولا فضل إلا بتقوى الله ، ولا قعود عن تلبية أمر الله ، ولا جرأة على معصية الله . . .

وإذا صح التصور الاعتقادي على ما سبق فإن القاعدة الأساسية للعقيدة الإسلامية تكون قد تحققت نظريا فقط ، ولكن الإنسان خُلق ليعمل في عمارة الكون ، وإحسان الاستخلاف في الأرض بالعمل الصالح والقول الحسن ، قال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (العصر) .

ولهذا فديننا لا يتحقق بغير هذين الأساسين : عقيدة صحيحة ينبثق عنها عمل اجتماعي يمثل الإيمان الحقيقي بهذا الدين ، فما هو هذا الإيمان ؟ .

هذا ما ستوضحه الصفحات التالية .

مفهوم الإيمان :

مقدمة :

تحدثنا فيما سبق عن مفهوم الدين وأنه عقيدة ينبثق عنها عمل اجتماعي يتحقق به الإيمان بهذا الدين . وسنعرف تحت عنوان مفهوم الإيمان تعريف الإيمان من أقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- والأئمة والسلف الصالح والفقهاء كما سنعرف أركان الإيمان ، والعلاقة التي تربط بينها ، وتوجيهات القرآن الكريم في ذلك .

مفهوم الإيمان :

١- عرفه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال :

أ- " الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته . وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره "

ب- في الحديث الذي رواه حماد بن زيد ، عن أيوب بن أبي قلابة ، عن رجل من أهل الشام ، عن أبيه . عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : " أسلم تسلم " ، قال : " وما الإسلام " ؟ .

قال : " أن تسلم قلبك لله ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك " ، قال : " فأي الإسلام أفضل " ؟ .

قال : " الإيمان " ، قال : " وما الإيمان " ؟ .

قال : " أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت " . قال : " فأي الإيمان أفضل " ؟ .

قال : " الهجرة " . قال : " وما الهجرة " ؟ .

قال : " أن تهجر السوء " . قال : " فأي الهجرة أفضل " ؟ .

قال : " الجهاد " . قال : " وما الجهاد " ؟ .

قال : " أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، ولا تفل ، ولا تجبن " . ثم قال - صلى ا لله عليه وسلم - " عملان هما أفضل الأعمال ، إلا من عمل بمثلهما - قالها ثلاثا - حجة مبرورة ، أو عمرة " .

ج- وقال - صلى ا لله عليه وسلم - : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمومن من أمنه الناس

د- لى دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر السيئات ، والمجاهد من جاهد نفسه لله " وهذا مروي عن النبي - صلى ا لله عليه وسلم - من حديث عبدا لله بن عمرو ، وفضالة بن عبيد وغيرهما بإسناد جيد ، وهو في السنن ، وبعضه في الصحيحين .

ه- وفي حديث عبدا لله بن عبيد بن عمير أيضا ، عن أبيه عن جده ، أنه قيل لرسول ا لله - صلى ا لله عليه وسلم - " ما الإسلام ؟ .

قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام . قيل فما الإيمان ؟ .

قال : السماحة والصبر ، قيل فمن أفضل المسلمين إسلاما ؟ .

قال : من سَلم المَسلمون من لسانه ويده ، قِيل فمن أفضل المؤمنين ايمانا ؟ .

قال : أحسنهم خلقا " .

و- وعرفه - صلى ا لله عليه وسلم - بما يجعل منه الأعمال الظاهرة فقال : " الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : قول لا إله إلا ا لله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق " .

وقوله لوفد عبدالقيس " امركم با لله وحده ، أتدرون ما الإيمان با لله وحده ؟ ، شهادة ان لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم " .

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا با لله بدون إيمان القلب ، لما قد اخبر في غير موضوع أنه لابد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان .

وفي المسند عن أنس ، عن النبي - صلى ا لله عليه وسلم - أنه قال " الإسلام علانية والإيمان في القلب " وقال - صلى ا لله عليه وسلم - : " إن في الجسد مضغة ، إن صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب " ٢٢ .

٢- وذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة -

---

٢٢ شيخ الإسلام : أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم بن محمد قاسم العاصمي . المجلد السابع من الفتاوى ، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين انظر ص٦ .

رحمهم الله-وأهل الظاهر ، وجماعة من المتكلمين : " إلى أنه تصديق بالجنان . وإقرار باللسان . وعمل بالأركان " ٢٣ .

٣- وعرفه السلف فقالوا : " هو اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان " ٢٤ .

٤- وعرفه النحلاوي فقال : " وهو لغة " التصديق " ، وشرعا " ما وقر في القلب وصدقه العمل " ٢٥ .

ومن مجمل هذه التعاريف يتبين لنا أن الإيمان أعم من أن يكون قلبيا ، ولكنه ذو شعب منها القلبي . ومنها اللساني ، ومنها ما يظهر على بقية جوارح الإنسان ، وأن أعلى شعبه : شهادة أن لا إله إلا الله . وأن أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، ولذا فهو يشمل الإسلام بكل أركانه ، والإيمان نفسه هو أفضل الإسلام . إذن لا يمكن الفصل بينهما ؛ إلا أن الإيمان أعلى درجة من مجرد الإسلام ؛ إذ إنه يشمل الأعمال القلبية وغيرها ، ومع ذلك فهو وسط بين الإسلام والإحسان ، يقول ابن تيمية : " فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان . صلح الجسد بالإسلام . وهو من الإيمان " ، يدل على ذلك أنه قال في حديث جبرائيل : " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فجعل الدين هو : " الإسلام والإيمان والإحسان " " فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة . هو درجاتٌ : مسلم - مؤمن - محسن ، كما قال تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . فمنهم ظالم لنفسه . ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ والمقتصد والسابق يدخلان الجنة بدون عقوبة . بخلاف الظالم لنفسه . وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع تصديق القلب ، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن فإنه معرض للوعيد٢٦ .

وهكذا تتضح العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان وأن الإسلام هو المبني على : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلا .

والإيمان الذي يشمل : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيرهما وشرهما حلوهما ومرهما .

والإحسان الذي هو : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

هذه الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان يتكون منها الدين ، وأن كل مؤمن فهو مسلم وأن كل محسن فهو مؤمن ، والمطلوب منا أن نحقق تديننا لله سبحانه وتعالى بكل أركانه وشعبه وبالطريقة التي وردت قولا وعملا وخلقا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتمثل بها أصحابه الأجلاء ومن تابعهم بإحسان .

---

٢٣ الإمام أبوجعفر الطحاوي : شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء ، أخرج أحاديثها محمد ناصرالدين الألباني ، ط٨ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م ، ص٣٣٢ .

٢٤ الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري - جـ١ - بيروت دار المعرفة ص٤٦ .

٢٥ عبدالرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ط١ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ص٦٩ .

٢٦ ابن تيمية : مرجع سابق ، ص١٠ .

٧ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلميذ على علاقة الإيمان بالإسلام والإحسان والدين، وضرورة أن تقدم له النصوص القرآنية الموضحة لذلك في المحتوى .

علاقة أركان الإيمان بعضها ببعض :

أركان الإيمان هي :

١ – الإيمان با لله .

٢ – الإيمان بالملائكة .

٣ – الإيمان بالكتب .

٤ – الإيمان بالرسل .

٥ – الإيمان باليوم الآخر .

٦ – الإيمان بالقدر خيره وشره .

الإيمان با لله الركيزة الأولى

عقيدة الإسلام تشمل :الإيمان با لله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . والقدر وكل ركن من هذه الأركان وثيق الصلة بسائر هذه الأركان ، فهي تكون كلا واحدا متكاملا ، لكن سائر الأركان مرتبط بالركن الأول ارتباط صدور ، وارتباط غاية ؛ فكل شيء صادر من ا لله ، وكل شيء عائد إليه .

يقول مدكور : " فا لله هو الحقيقة الكبرى ، والحقيقة الأولى ، والحقيقة الأخيرة ، والحقيقة الأزلية وهذا الاسم : " ا لله " علم على الذات المقدسة ، التي نؤمن بها ونعمل لها ، ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا ٢٧ .

فيجب أن نؤمن بوجود ا لله وأنه لا إله إلا هو ، وأنه الأول بلا بداية ، وأنه الآخر بغير نهاية قال تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ (الحديد : ٣) كما يجب أن نوحده : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الذات والصفات .

فتوحيد الربوبية ، " أو ما يسمى بتوحيد ا لله بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة . . . والإيمان بوجوده – سبحانه – ذاتاً وصفاتٍ ، هذا الإيمان فطرة مستكنة في خلق ا لله الإنسان . وعهد صادر من البشر منذ خلقهم ا لله ، وهم بعد لما يظهروا للوجود ، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . . ﴾ (الأعراف: ١٧٢) .

وتوحيد الألوهية ، أو ما يسمى بتوحيد ا لله بأفعال العباد ، هو القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي كله وينبثق منه منهج الإسلام للحياة كلها بنظمها : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية فعن هذا التصور ينشأ الاتجاه إلى ا لله وحده بالعبودية والعبادة ، فلا يكون إنسان عبدا إلا لله ، ولا يتجه بالعبادة إلا لله ، ولا يلتزم بطاعة إلا وهي على منهج ا لله ، وعن هذا التصور تنشأ قاعدة الحاكمية لله وحده فيكون ا لله هو المشرع

---

٢٧ علي أحمد مدكور : منهج تدريس العلوم الشرعية ، مرجع سابق ، ١٩٩١م ، ص١٩٥ .

للعباد ، بحيث تجيء التشريعات البشرية من شريعة الله . وعن هذا التصور تنشأ قاعدة استمداد القيم الخلقية والعملية والمعرفية كلها من ميزان الله ٢٨ .

فالتشريعات وقواعد الأخلاق ، ونظم الحياة كلها لا تُتلقى إلا من صاحب السيادة الأوحد وهو الله جل جلاله ومن التوجيه في ذلك : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له .... " (الأنعام : ١٦٢)

وتوحيد الأسماء والصفات : " وهو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنه ولا نوم ، له المشيئة النافذة ، والحكمة البالغة . وأنه سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوى ، وعلى المُلك احتوى ، وأنه المَلك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلا " ٢٩ ، ومن التوجيه في ذلك : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى : ١١) .

٨ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على المقصود من الإيمان بالله ، وضرورة أن تقدم لهم النصوص القرآنية الموضحة لبيان الإيمان بالله بالقدر الكافي في المحتوى .

الإيمان بالملائكة : على كل مسلم أن يُؤمن بأن لله ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون . ولهم أعمال اختصهم الله بها فمنهم حملة العرش ، ومنهم مَلَكُ الموت ومنهم من يكون في نصرة عباد الله المطيعين له ومنهم المُوكلون بالأرزاق ومنهم الراكع أبداً والساجد أبدا . . . ومنهم جبريل الذي نَزل بالقرآن الكريم على سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير " (فاطر : ١) وقال تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (الحج : ٧٥) وهؤلاء الملائكة من جند الله ومنهم من سُخر للإنسان إعانة على استخلافه في الأرض لعمارتها وفق مشيئة الله سبحانه وتعالى .

لذا يجب على الإنسان أن يشكر الله على وجودهم . كما يجب عليه الإيمان بهم ، ومُنكر وجودهم غيرمؤمن .

توجيه القرآن في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل : قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . . ﴾ (البقرة : ٢٨٥) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل . ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (النساء : ١٣٦) .

٩ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على وجوب

---

٢٨ علي أحمد مدكور : المرجع السابق بتصرف ص ص ١٩٦، ١٩٧ .

٢٩ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ص ص ٢٤، ٣٥ ، المكتب الإسلامي بدون تاريخ ص ص ٢٤، ٣٥ .

الإيمان بالملائكة ، وضرورة تقديم المحتوى القرآني الموضح لذلك .

الإيمان بالكتب : من تكريم الله للإنسان أنه خلقه بقدرته ، وأنه هيأ له الكون ليعيش فيه ، وأنه لما كلفه بعبادته وعمارة أرضه جعله ذا عقل به يفكر ويتأمل ، وجعل عقله مناط التكليف ولكن زيادة في الرحمة والامتنان أنزل إليه منهاجا يسير عليه ويحتكم إليه ويهتدي به وجعل هذا المنهاج موثقا إليه ، وهذا المنهاج في أصل وجوده هو الرحمة والهدى والنور والإبانة لكل متطلبات الحياة البشرية في كل زمان وفي كل مكان والى أي رسول وإلى أي قوم ، من استمسك به هدي ، ومن عمل به رشد ، ومن عمى عنه فقد ضل ضلالا بعيدا .

والكتاب باسم التوراة أو باسم الإنجيل أو باسم القرآن أو صحف إبراهيم وموسى هو وحي الله وهو نور من عند الله ليهتدي به الإنسان : أي إنسان وصل إليه وعمل به في الزمن المحدد له وبالطريقة المطلوبة منه فقد فاز فوزا مبينا ؛ وذلك لأن الإنسانية واحدة وصائرة إلى إله واحد والمطلوب منها في جملته واحد وهو افراد الله بالعبودية وتوحيده توحيداً لا تشوبه شائبة الشرك والاستمرار على ذلك حتى لقاء الرب الأوحد في يوم القيامة ليجازى كلٌّ على عمله فيكون مصيره إما إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وإما إلى نار لا تقوى عليها الأبدان .

توثيق الكتب : قال تعالى : في شأن التوراة : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور . . . ﴾ (المائدة : ٤٤) .

وقال في شأن الإنجيل : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور . . ﴾ (المائدة : ٤٦) .

وقال تعالى : في شأن القرآن : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (الشعراء : ١٩٢ (١٩٥) وقال تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ (الأعلى : ١٩) .

من توجيه القرآن بالإيمان بالكتب : قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى و ما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا . . . ﴾ (البقرة : ١٣٦ (١٣٧) وقال تعالى : ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨٤) .

١٠ - ولذا يجب أن تنص الأهداف في مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على أن الإيمان بالكتب السماوية واجب ، وضرورة أن يُقدم لهم المحتوى النصوص القرآنية التي تثبت توثيق هذه الكتب إلى الله وضرورة الإيمان بها .

كتاب الله واحد :

والإيمان بكتب الله المنزلة على رسله جزء من الإيمان الذي لا تصح العقيدة الإسلامية إلا به ، وإشارة القرآن الكريم إلى أن أهل الكتاب إنما أوتوا نصيبا من الكتاب دليل يفهم منه أنهم لم يعطوا كل الكتاب وإنما أعطوا منه نصيبا ، ويفهم منها كذلك أن إتمام الكتاب المراد إنزاله إلى البشرية كلها وبه تختم عملية النزول ، ويتم الكتاب كله :

إنما هو القرآن الذي هو الكتاب الخاتم للرسالات والذي اختص الله به سيدنا محمدا مُبلغا له واختص به الأمة الخاتمة للأمم كلها لتقود به الإنسانية إلى إتمام مهمتها في الأرض .

التوجيه :

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يُدعَون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ (آل عمران : ٢٣) .

يقول مدكور : " إن كتاب الله هو كل ما نزل على رسله وقُرر فيه وحدة الألوهية ، ووحدة قوامته ، فهو كتاب واحد في حقيقته . أوتي اليهود نصيبا منه وهو " التوراة " . وأوتي النصارى منه نصيبا وهو " الإنجيل " وأوتي المُسلمون الكتاب كله وهو القرآن ؛ باعتبار القرآن جامعاً لأصول الدين كله ومصدقا لما بين يديه من الكتاب ٣٠ . قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام : ٣٨) . وقال تعالى : ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (ص : ٨٧) .

١١ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم- موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على حقيقة العلاقة بين القرآن وسائر الكتب السماوية الأخرى التي يتضح منها أن كتاب الله واحد كماله وتمامه القرآن ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص الكافية من القرآن الكريم .

لماذا الكتاب الأخير ؟

سبقت الإشارة إلى أن اليهود أوتوا نصيبا من الكتاب " التوراة " والنصارى أوتوا نصيبهم كذلك منه " الإنجيل " وآتى الله المسلمين القرآن وهو الكتاب كله : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (البقرة : ٢) ، ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ (النساء : ١٠٥) ، ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ (المائدة : ٤٨) . فالمراد بالكتاب هو القرآن كما قال بذلك ابن جرير الحاكم وصح عن ابن مسعود ٣١ ، وهذا القرآن - كتاب الله - إلى المسلمين ، وإلى البشر عامة . جاء بتمام تطلبات الدين : رسالة الله إلى خلقه أجمعين : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (الشورى : ١٣) فالقرآن مهيمن على كل الكتب السابقة والتي لم يكمل بها الدين كله ، وإنما اختص الله كمال دينه بالقرآن ولذا قال فيه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣) .

وبما أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - آخر رسول فبالضرورة يكون كتابه آخر كتاب ، إذ لا رسالة بغير رسول ، والمقصود من الرسول والكتاب المنزل عليه وصول شرع الله وهدايته إلى المرسل إليهم . حتى لا يكون للناس حجة على الله بعد الرسل ورسالاتهم ، قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة

---

٣٠ علي أحمد مدكور : منهج تدريس العلوم الشرعية . مرجع سابق ، ص١٩٨ .

٣١ الشوكاني : فتح القدير المجلد الأول ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص٣٣ .

بعد الرسل ﴾ (النساء : ١٦٤) . وهذا القرآن – لما كان جامعا للكتب السابقة . وكان فيه نبأ السابقين وخبر اللاحقين ، وكان كذلك المعجزة الباقية بعد ذهاب المعجزات السابقة لكل الرسل ، وبقي وحده بضمان من الله – ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) – وهو معجزة محمد – وإن مات – وهو شرف للرسول وللأمة كلها : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ (الزخرف : ٤٤) . لما كان أمره كذلك كان هو الكتاب الأخير ، فأمته هي آخر الأمم وهو شرفها الأسنى ودستورها الخالد .

وكذلك اتصل أفراد هذه الأمة بعضهم ببعض وأصبحت الكرة الأرضية كبيت واحد متعدد الحجرات فمن في الحجرات كلهم يعلمون ما في البيت كله حتى إن المسلم القرآني في أفريقيا يقف الآن مع الأمريكي المسيحي في أمريكا يتناظران بالقرآن والإنجيل تحت سمع وبصر ملايين بل مليارات البشرية في لحظة واحدة ، فلا حاجة إذن إلى رسول جديد ولا إلى رسالة جديدة إذ القصد من الرسول التبليغ . وقد بلغ ، والقصد من الرسالة الرجوع إليها للاهتداء بتعاليمها أمرا ونهيا ؛ لذا وعد الله ببقائها إلى ما يشاء ، وحفظها كما يشاء . ولذا قال : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجرات :٩) ، فالقرآن الآن يُتلى ، والقرآن يُحفظ . والقرآن يفسر ، والقرآن يكتب ، والقرآن يسجل . ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ ؟ (التوبة : ١١١) . ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ (النساء : ٨٧) ، ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ (النساء : ١٢٢) ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام : أنه يجب الالتزام بكتابة القرآن الكريم بخط المصحف العثماني ٣٢ .

١٢ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على حقيقة الرسالة التي ختمت بالقرآن الكريم في حدود مستواهم . وضرورة توضيح ذلك لهم بالنصوص القرآنية في المحتوى .

الإيمان بالرسل : ومن تمام نعمة الله على البشرية أنه لم يتركها بلا هاد يهديها إلى صراط الله المستقيم وإنما اختار لها من أبنائها من تكون فيهم القدوة لها في تنفيذ منهج الله : عقيدة وقولا وعملا وخلقا حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول . والعلاقة وطيدة بين الله ومناهجه ورسوله ومن أرسل الله إليهم المنهج والرسول ؛ فالله – سبحانه وتعالى – هو المعبود بحق . وهو الذي أراد لنفسه هذه العبادة فهو الذي يحددها وهو الذي يضع لها المنهج وهو الذي يصطفي لها من الملائكة من يحمل منهاجها إلى الرسول المصطفى من بين افراد أمته ليعلمها إياه ويكون لأمته القدوة المثلى في هذا المنهاج ؛ ولذا كان هؤلاء الرسل ذوي صفات معينة من مثل : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ووجوب الكمال البشري وقد كانوا كذلك . ومن توجيه القرآن ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (الحج : ٧٥) وقال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (النساء : ١٦٥) .

–وهكذا خلق الله الخلق وهو أعلم باحتياجاتهم فتكفل برزقهم: ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها

٣٢ انظر في ذلك الإمام جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت ص٨٣ ، بدون تاريخ .

﴿ (هود : ٦١) ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . . ﴾ (هود : ٦) .

وتكفل بتعليمهم وتربيتهم فأودع فيهم قوي الإدراك الظاهرة والباطنة قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل : ٧٨) . وتكفل بهداياتهم فأرسل إليهم الأنبياء والرسل لإقامتهم على أمر الله . قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (النحل : ٣٦) . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٢٥) ، وسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو خاتم المرسلين ورسالته بها ختمت الرسالات . قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣) ، وقال تعالى : ﴿ ماكان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

١٣ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على حقيقة الرسل - مميزاتهم التي أهلهم الله بها اتباع الرسالة - وكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم . وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالقرآن الكريم .

١٤ - ولذا أيضا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف التلاميذ أن الإيمان بالرسل واجب ، وضرورة أن يقدم إليهم محتوى القرآن ما يوضح لهم ذلك .

حقيقة الكون :

مقدمة : الكون في التصور الإسلامي هو هذا الوجود الخارجي الذي يدركه الإنسان ويوجه إليه عقله وقلبه ، هو هذه السموات والأرضون وهذه النجوم . . وهو الذي قد نجده غيبا محجوبا . . هو بشموله واتساعه ، وارتباط حوادثه بعضها ببعض وفق منهج الله الذي فطره ، وسيره عليه ٣٣ .

١٥ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على أن الكون غيب ومشهود ، وأن يوضح لهم المحتوى ذلك .

والكون ينقسم إلى قسمين : غيبي ومشهود .

١ - الكون المشهود :

يستطيع الإنسان أن يدركه ويعيه ويحسه بإحدي حواسه ، فكل ما نستطيع إدراكه بإحدى حواسنا فإنه من الكون المشهود وأمثلته كثيرة : السماء والأرض والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والأنهار والإنسان . . . وهذا الكون مخلوق حادث ، وليس بالقديم الأزلي ، كما أنه لم ينشأ من ذات نفسه . . لقد خلقه الله خلقاً ، وأنشأهُ إنشاء ، بعد أن لم يكن ، سواء في ذلك مادة بنائه الأساسية ، أو الصورة التي ظهرت فيها ، ولم

---

٣٣ عثمان جمعة ضميرية : التصور الإسلامي للكون ، والإنسان ، والحياة ، الكويت - دار الأرقم ، بدون ط ، وبدون تاريخ ، ص١٤ .

يشارك الله – سبحانه وتعالى – أحدٌ في خلق هذا الكون ، ولا في خلق شيء منه . سواء في ذلك مادته أو صورته ؛ لأن الله هو الذي أعطى كل شيء خلقه ، وأعطى كل شيء صورته ، وأعطى كل شيء وظيفته .

التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ (النمل : ٣) ، ﴿ الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل ﴾ (الزمر : ٦٢) ، ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (طه : ٥٠) ، ﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هُم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون ﴾ (الطور : ٣٥ ، ٣٦) ، ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ (الكهف : ٥١) .

الظواهر الكونية كلها مقصودة لله ومدبرة بقدرته : والظواهر الكونية من ليل ونهار ، ورعد وبرق ، وسحاب ومطر ، وريح وصاعقة ، هي كذلك مقدرة مدبرة ، ومسيرة مسخرة ، تنشأ لغاية ، وتتجه لوجهة ، تسير فتؤدي ما أمرت به .

ومن التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، فإذا هم مظلمون ﴾ (يس : ٣٧) .

﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرا ، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ (يونس : ٦٧) ، ﴿ وهو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ﴾ (الرعد : ١٢) ، ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا ، فسقناه إلى بلد ميت ، فأحيينا به الأرض بعد موتها ﴾ (فاطر : ٩) ، ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابا ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ (النور : ٤٣ ، ٤٤) ، ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ (القمر : ١٩ ، ٢٠) ، ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا . بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم . ﴾ (الأحقاف : ٢٤ ، ٢٥) ، ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ (الرعد : ١٣) ، ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ﴾ (الفرقان : ٤٥) .

لماذا لم يتناول القرآن الكون المشهود من الناحية الفنية ؟

لقد تناول القرآن الكون المادي المتطور ، وعرض لكثير من ظواهره كالشمس والقمر ، والسماء والأرض ، والبحار والجبال ، والدواب والإنسان . . فتكلم عنها في بدء خلقها ، وتكلم عنها في أثناء وجودها ، وتكلم عنها في بعض نهاياتها وقد عرض لهذه النواحي لا ليعالج أمرها علاجا فنيا تحليليا فيكون كتاب هيئة أو كتاب حيوان . ولكن عرض لها لأنها من دلائل قدرة الله تبارك وتعالى ولأنها مما يحتاج إليه الإنسان في عمارة هذا الكون المستخلف فيه . فالقرآن كتاب توجيه لهذا الإنسان ، يصله بربه الذي سخر له هذا الكون . وجعله جزءا منه . ولو تعرض القرآن للكون المشهود من الناحية الفنية لما انتهى أمره .

" ومن ناحية أخرى يدرك القرآن الكريم ضرورة ترك الحرية للعقل الإنساني ؛ كي ينمو ويتقدم حتى يدرك

مكونات الكون ، ويدرك صورها بسبب تدرجه في قوته واكتماله . . فكلما ارتقى العقل الإنساني اكتشف ناحية من نواحي الدقة وجانبا من جوانب القدرة التي يصعب أن تنجلي للإنسان في طور واحد من أطوار حياته " ٣٤ .

١٦ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على ان يتعرف تلاميذها على كيفية التعرف على مفردات الكون المشهود ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص القرآنية .

وهذا الكون مصمم بنظام لا يصلح لسواه : والله - سبحانه وتعالى - قد صنع هذا الكون بما لا يصلح إلا على ما صنع : " إن حجم الأرض وكتلتها وميلها على محورها ، وموقعها من الشمس والقمر ، وانتظام دورتها حول نفسها ، وحول الشمس ودورة القمر حولها . . . إن هذا كله محسوب حسابا دقيقا لصلاحيتها للحياة ! وتداول الليل والنهار وتداول الفصول بالقدر المطلوب للحياة عليها ، وتوازن الحرارة والبرودة فيها بالقدر المطلوب .

إن مساحة المحيطات الملحة ، ومساحة الأرض اليابسة ، محسوبة بدقة لحفظ جو الأرض غير آسن وغير جاف ، بحيث تصلح للحياة ، وتظل صالحة لها ! .

إن توزيع عناصر الجو بين النيتروجين (الأزوت) بمقدار ٧٨٪ ، والأكسجين بمقدار ٢١٪ والغازات الأخرى الصغيرة وثبات حجم الأكسجين ، على الرغم من استهلاك الأحياء له ، وذلك عن طريق النبات الذي يفصل الأكسجين عن الكربون من ثاني أكسيد الكربون الناشئ من الاحتراق في الأحياء ، فيتغذى بالكربون ، ويطرد الأكسجين . . إن هذا كله محسوب حسابا دقيقا لا يخطئ فهذه النسبة من الأكسجين هي اللازمة بالضبط لحفظ هذا النوع من الحياة .

إن احتواء جو الأرض على الأزوت هو الذي يكفل للنبات غذاءه ، ويكفل بالتالي للأحياء على الأرض قوتهم حيث يذوب جزء منه بالبرق وينزل مع المطر فيغذي التربة . . إن أقوات الأحياء مكفولة :﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ (فصلت : ١٠) . . . . ، لو كانت الشمس أكبر حجما مما هي ، أو أشد حرارة ، أو أقرب إلى الأرض ، لاحترق كل ما على وجه الأرض ولتعذرت الحياة عليها ، وكذلك لو كانت أصغر ، أو أقل حرارة ، أو أبعد مما هي لبردت الأرض وتعذرت الحياة أيضا ! ، لو كانت دورة الأرض حول نفسها ، أو حول الشمس اسرع أو أبطأ . . لحدث هذا أو ذلك كذلك ! ، ولو كان القمر أقرب إلى الأرض ، أو أكبر حجما مما هو ، لارتفع المد الذي يحدث في مياه المحيطات ، بحيث يغمر اليابسة كل يوم مرتين . . . .

وكل تلك الموافقات والموازنات تشهد بدقة الصنعة ، وكمالها وتناسقها ، كما تشهد باليد المبدعة التي أبدعت هذا الكون ، وأودعته سننه وقوانينه . . وهي تشهد بالتدبر والتقدير ، كما تشهد بالتسخير والتسيير ، وتنفي خرافة المصادفة ، وخرافة التلقائية ، كما تنفي الحتمية الآلية سواء . . . إن هناك قصدا وغاية ، كما أن هناك قدرا ومشيئة . . . " ٣٥ .

---

٣٤ علي أحمد مدكور : منهج التربية أسسه ومكوناته ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

٣٥ سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي : مرجع سابق ، ص٣٣٦ وما بعدها .

ولو كان الكون على غير إرادة الله ومشيئته . ولو كان الكون على غير ما هو عليه لما صلحت الحياة فيه ومن التوجيه القرآني في ذلك قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ؟ أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (القصص : ٧١ ، ٧٣) . وقوله : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ (يونس : ٥) وقوله سبحانه : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ (يس : ٣٣) . ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (القمر : ٤٩) .

الكون والجمال :

وهو كون باهر الجمال . لا يقف التناسق والتوافق فيه عند حدود الدقة والانتظام والضبط . ولكن التوافق والتناسق فيه يتجهان إلى الكمال والجمال والحسن والزينة . . . والمنهج القرآني يوجه أنظار البشر ومشاعرهم إلى ما في الكون حولهم من هذه البدائع ، إلى جانب ما يوجههم إلى إدراك ما فيه من خير ونعمة ومصلحة وكفاية لحاجتهم .

إن عنصر الجمال مقصود قصدا في بناء الكون . وفي ظواهره . وفي الحياة المبثوثة فيه . وإيقاظ حاسة الجمال في البشر مقصود كذلك قصدا في المنهج القرآني ، وفي التربية الإسلامية بهذا المنهج : " إن هذا الإنسان مخلوق فائق على الحيوان ، فمطالبه الأساسية ليست هي مجرد الكفاية الحيوانية من الطعام والشراب والجنس - كما تقول الماركسية ! - فمن مطالبه الأساسية كذلك أن يستمتع بالجمال في شتى صوره : جمال المناظر . وجمال المشاعر . . من أجل هذا تتكفل عقيدته الصحيحة الرفيعة في الإسلام ، أن توقظ مشاعره إلى الجمال في الكون . وفي الحياة المبثوثة فيه ، وإلى بدائع صنع الله في الكون وفي الحياة فالله - سبحانه وتعالى - جعل الجمال عنصرا من عناصر بناء الكون والحياة ، والكمال في صنعته الباهرة يحقق هذا الجمال . . . " [٣٦] .

من التوجيه القرآني :

إن المنهج القرآني يوجه أنظار البشر إلى " المنفعة " الحاصلة لهم من خلقة هذا الكون وطبيعته ، وإلى دلالة هذا الخلق على خالقه . . يقول لهم : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) . ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ (الأنعام : ٩٧) . ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (القصص : ٧٣) . ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباسا ، والنوم سباتا ، وجعل النهار نشورا ، وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته . وأنزلنا من السماء ماء طهورا ، لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ﴾ (الفرقان : ٤٧ ، ٤٩) . ﴿ الله الذي يرسل

---

٣٦ سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٣٣٨ .

الرياح فتثير سحابا ، فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى اثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحي الموتي ، وهو على كل شيء قدير﴾ (الروم:٤٨-٥٠) .

يقول سيد قطب : " وإلى هنا فالتوجه هو المنفعة والمصلحة في حدود الحاجة والضرورة . . ولكن المنهج القرآني يتجاوز بالإنسان حدود المنفعة والضرورة . فيوجه نظره ومشاعره إلى الكمال والجمال والتناسق والتوافق والحسن والزينة والمنظر والبهجة . . هذه اللفتات التي يتميز بها الإنسان على الحيوان ، ويرتفع ويرتقي ، ويرفرف وينطلق يقول له : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير . .﴾ (الملك :٣-٥) .

فيوجه نظره إلى ما في بناء الكون كله من توافق وتناسق وكمال وجمال وزينة تبلغ ذلك الحد الباهر ، الذي يرجع البصر منه حسيرا ، لا يجد نقصا ، ولا يجد ثغرة ، ولا يملك التطلع إلى شيء وراءه ، بل لا يملك استيعابه . . وهو تعبير دقيق عن حالة واقعة ، فالجمال الكوني حين يتطلع الإنسان إلى السماء ، يبهر النظر الإنساني بحيث لا يشبع منه ، وبحيث لا يستوعبه حسه كذلك ، إنها حالة العجز عن استيعاب كل هذا الجمال الفائض الباهر ! لا يشبع منه ، كذلك يوجه الحس الإنساني إلى جمال الحركة اللطيف في بعض مشاهد الكون : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ﴾ (الفرقان : ٤٥ ، ٤٦) .

وجمال الظلال والحركة المؤدية للظل ، لون فائق من ألوان الجمال اللطيفة لا يدركه إلا الحس المرهف اللطيف . وإلى هذا المستوى المرفرف يتجه المنهج القرآني بالحس الإنساني في تصوره لحقيقة الكون من حوله .

كما يوجهه إلى مشهد الليل ، ومشهد النهار ، بمثل هذه اللمسة المبدعة : ﴿ والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ﴾ (التكوير : ١٧ ، ١٨) ، ﴿ والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل إذا يسر﴾ (الفجر : ١ (٤) . فإذا الليل والصبح كائنان تدب فيهما الحياة : الليل يُعسعس - أو يسري - والصبح يتنفس ، ويريه النجوم وهي تغيب وتتوارى كما لو كانت عرائس أو غزلانا تخنس وتختبئ في كناسها : ﴿ فلا أقسم بالخُنّس . الجواري الكنس﴾ (التكوير : ١٥ ، ١٦) .

ويقول سيد قطب " وهي لمسات جمالية يعجز البيان البشري أن يزيدها عرضا أو إيقاعا . . ويهدف المنهج القرآني إلى رفع الإنسان إليها ، وإطلاق مشاعره تجاهها ، وهو يحدثه عن " حقيقة الكون " من حوله ، ليتملى من جمال إلى جانب ما فيه من منفعة له ومصلحة ، وإلى ما فيه من ضبط ودقة . ويوجهه إلى تنوع الألوان . وجمال هذا التنوع ، وتوزعه بين الجوامد والأحياء سواء : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور﴾ (فاطر : ٢٧ ، ٢٨) . وهي لفتة موحية إلى جمال الألوان وتنوعها وتوزعها بين الجوامد والأحياء سواء . وبالمثل يوجهه الى الجمال في الأحياء - إلى جانب المنفعة

المادية وزائد على المنفعة المادية – لتلبية الحاجة الإنسانية إلى الجمال ، ولإيقاظ مشاعره ، وإطلاقها من قيد الضرورة والحاجة في اتجاه الجمال والمتعة . . ويحدثه عن الجمال في الحيوان إلى جانب المنفعة :﴿ والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ﴾ (النحل : ٥–٨) .

ويحدثه عن الجمال في الزروع والثمار فيقول :

﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (الأنعام : ٩٩) .

فالتوجيه هنا إلى النظر والاستمتاع بجمال الثمار وازدهائها وينعها ، لا إلى طعومها ، ولا إلى أكلها ! ٣٧ ، كما يوجههم إلى تملي بهجتها في قوله :﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ (ق : ٧) .

١٧ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على بعض الجمال الذي احتواه هذا الكون في جوانبه المختلفة وصلح عليه أمره . وضرورة أن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح به هذه الحقيقة .

وهذا الكون صديق للحياة والأحياء :

وهذا الكون المشهود صديق للحياة والأحياء بما سخر الله فيه ، وبما أودع فيه ، وبما ذلله وهيأه لاستقبال الحياة والأحياء . . وهو مأنوس للإنسان بوجه خاص .

من التوجيه القرآني في ذلك :

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أندادا ؟ ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا : أتينا طائعين ﴾ (فصلت : ٩–١١) ، ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾ (الحج : ٥، ٦) .

وليس هذا الكون عدواً لهذه الحياة :

وليس هذا الكون عدوا لهذه الحياة ولا لمن يحيون فيها ، والقرآن الكريم يوضح بجلاء أنه كله سخر لتحقيق الحياة التي يتمكن فيها الإنسان من القيام بما كلف به : عمارة هذا الكون وإحسان الخلافه فيه وكل ما يؤدي إلى

---

٣٧ انظر المرجع السابق : ص٣٤٠، ٣٤١ .

تحقيق العبادة منه المعلول وجوده بها .

ومن التوجيه القرآني في ذلك :

﴿ ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ﴾ (النبأ :٦-١٦) . ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . . . . والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ (نوح :١٥-٢٠) إلى غير ذلك .

السلام الكوني وأثره :

إن الصداقة بين هذا الكون ومحتوياته من شأنها أن توحي إلى قلب المؤمن بالاطمئنان إليه وبالسلام معه ومع الأحياء فيه ، فلا يحيش فيه القلق لشيء من ظواهره .

وإن الشعور بالسلام بين الكون وظواهره ، وبين الحياة والأحياء ، مسألة ذات قيمة كبيرة ، وذات أثر في حياة الإنسان الواقعية كذلك . . إن الإنسان ليستطيع مع هذا الشعور أن يمضي في طريقه مطمئنا ، يحاول كشف سنن هذا الكون بروح من يتعرف إلى هذا الكون ، لا من يتصارع معه ! وكلما كشف سنة من سننه جعلها للخير واتجه بها إليه ؛ لأن كشفها لم يجئ نتيجة معركة ، إنما جاء نتيجة صداقة ! ولأنها من صنع الله الذي يدعوه إلى الخير والبر ، وينهاه عن الشر والفجر .

يقول سيد قطب يرحمه الله : " إن السلام الروحي ضروري للإنسان ، وأولى مراحل السلام الروحي وأكبرها ، هي السلام مع الكون الذي يعيش فيه ، ويتعامل معه ومع كل شيء فيه بروح الصداقة والود والقرابة . . . لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب هذا الكون كله ، ويتعامل معه بروح المودة الصافية . . . كان رسول الله - صلى ى الله عليه وسلم - يرى الهلال فيستقبله بفرح ويقول : " ربي وربك الله " . وكان يستقبل قطرات المطر بفرح ، ويقول : " إنها قريبة عهد بالله " . و كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستقبل كل مَوْلود وُلِد ويقول عن الوليد : " قريب عهدٍ بالله " . . . واستعدت روحه لتلقي الوحي بالأيام ذوات العدد التي كان يتحنث فيها في غار حراء .... في الجبل .... حيث الفضاء والسماء والنجوم والكواكب ، والليل والنهار ، والإصباح والإمساء والأصائل والأسحار . . . ولا شيء إلا هذا الكون الصامت ، الناطق في صمته لذوي الأرواح ! بذلك كان يقول عن أُحُد وهو يد لله تدليل الصديق : " هذا جبيل يحبنا ونحبه " فيخلع عليه الحياة ، ويشعر بالحب منه كما يشعر بالحب له : " يحبنا ونحبه " . وهذا هو الشعور الإسلامي الصحيح اللطيف الجميل لهذا الكون وما فيه ، وهو لا ينشأ في القلب إلا بالمعرفة الصحيحة لحقيقة الكون كما يعرضها المنهج القرآني المتفرد الجميل " ٣٨ .

وهذا الكون مسلم طائع لربه :

---

٣٨ انظر المرجع السابق ، ص ص ٣٤٧،٣٤٨ .

وهذا الكون مسلم طائع لربه ، ومؤمن عابد لمولاه . . إنه كون ذو روح تعرف ربها الحق . فتستسلم له طائعة ، وتسجد له خاشعة ، وتسبح له عابدة ، وتثار على جلاله . وتنتفض لمهابته ، وتغضب للشرك به من بعض البشر الجُهال . . ! .

توجيه القرآن في ذلك :

﴿ . . ثم استوى إلى السماء وهي دخان - فقال لها وللأرض :ائتيا طوعا أو كرها . قالتا : اتينا طائعين ﴾ (فصلت : ١١) ، ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال ، والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ﴾ (الحج : ١٨) . ﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ، وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (النحل :٤٨-٥٠) ، ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ (الرعد : ١٥) . ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم . إنه كان حليما غفورا ﴾ (الإسراء : ٤٤) ، ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض ، والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون ﴾ (النور : ٤١) ، ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ (الرعد : ١٣) ، ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، ولله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ (الروم : ١٧ ،١٨) ، ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾ (ص : ٣٦) ، ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ (ص : ١٨ ،١٩) ، ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ؛ أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيام فردا ﴾ (مريم : ٨٨(٩٥) . ﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ (الشورى : ٥) . وهكذا الكون مسلم مستسلم طائع لربه لا يعصيه ، الإنسان وحده هو الذي يطيع ويعصي مع أنه لم يعط الحرية إلا في شطر من حياته وفي هذا الشطر تقع منه الطاعة كما تقع منه المعصية ! ! .

يقول سيد قطب - يرحمه الله - : " الإنسان وحده هو الذي منحه الله حرية الاختيار في شطر من حياته . . شطر واحد : أما الشطر الآخر فهو سخر كبقية من في الأرض من أجرام وظواهر وحركات . . إنه يجيء إلى هذه الحياة على غير إرادة منه ولا اختيار . وكذلك يغادر هذه الحياة على غير إرادة منه ولا اختيار ! إن قلبه ينبض بغير إرادة منه ، إن دمه يجري في عروقه بدون اختياره . . . ولكن الله منحه حرية اختيار الإيمان أو الكفر . . ثم الجزاء بالجنة أو بالنار .

إن قانون الله يحكم الشطر العريض منه ومن حياته بدون اختيار منه . وهو من ثم لا يصلح ولا يسعد ولا يطمئن ولا يستريح ، إلا حين يتناسق شطره الاختياري مع شطره الإجباري . فيخضعان معا لقانون واحد يشرعه الله ، وهو نفسه القانون الإلهي الذي يحكم الكون والحياة .

سجود الكون وتسبيحه وحمده لربه ، وإيمانه بربوبيته وحده ، وغيرته على جلاله . وغضبه على المشركين لجهل من الناس . . فهذه حقائق يحدثنا القرآن عنها ، والقلوب المؤمنة هي التي تستشعرها وتحسها . وعلى أساسها يقدم التصور الإسلامي لحقيقة هذا الكون ، وهو تصور من شأنه أن يزيد البشاشة والصداقة والود بين النفس المؤمنة وبين هذا الكون . . . إنه يتجه إلى المعبود الذي تتجه إليه . . وإنه يشاركها إيمانها وتسبيحها وصلاتها وحمدها للخالق المنعم المتفضل القوي القهار الجبار . . . إنها منه وإنه منها كذلك في الاتجاه إلى الله . إنها لا تنافق منه ولا تخشاه . . إنها لا تؤلهه ولا تؤله شيئا فيه فهو عبد من عباد الله . . إنها لا تصارعه ولا يصارعها ، فهو مؤمن بالله ، وهي مؤمنة بالله . . . إنه تصور جميل ، فوق أنه تصور مريح ، وفوق أنه تصور صحيح . . " ٣٩ .

١٨ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على كيفية التعامل مع مفردات الكون المشهود كالماء والهواء والأشجار . وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص القرآنية الكافية .

إذن على أي أساس نتعامل مع الكون المادي ؟

نتعامل مع الكون المادي على أساس من القهر والإذلال كما نسمع ونقرأ من مثل المقولة : قهرنا الطبيعة ؟ ذللنا العقبات ؟ أزلنا الجبل رغم أنفه ؟ سبحان الله ! ! ما أبعد الإنسان عن الحقيقة حينما ينسى مسخر الكون له ، وينسب كل شيء يصل إليه إلى نفسه بانقطاع تام عن الله مسبب الأسباب ! ! .

وما أثقل غفلة الإنسان حينما لا يقرأ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . . . ﴾ (فصلت : ١١) .

فالكون مطاوع للإنسان ؛ لأنه مخلوق له لإتمام مهمته التي خلق من أجلها : خلافة عمادية ، عمارة عبادية . والخالق واحد سبحانه وتعالى ، فخالق الإنسان هو الذي خلق الزمن والمكان وهو الذي سخر له في كونه ما يُعينه على أداء رسالته في هذه الحياة ومن هنا : لا قهر ولا إذلال ولا تنافر ولا تناقض وإنما استجابة وطاعة . . معناها رحمة الله بهذا الإنسان وفيض من نعمه عليه يستوجب منه أن يتعامل مع هذا الكون : باسم الله وشكر الله وتذكر أنعمه عليه التي إن أراد أن يُحصيها أعيَته ولن يجد إلى ذلك سبيلا ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ (إبراهيم : ٣٤) ومن هنا يجب أن نتعامل مع هذا الكون على أنه نعمة مسخرة لنا نستخدمها في حدود ما أحل الله ونتعامل مع هذا الكون على أننا نحن وهو مخلوقان لله : هو مسخر لنا ونحن مسخرون لطاعة الله فهو باستجابته لنا مطيع لله ، ونحن نشكر الله على ذلك ولا ننساه ويجب علينا أن نزداد طاعة لله وشكرا له ونذكره لأنعمه كلما انقادت لنا كائنات هذا الكون ؛ قال تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم

---

٣٩ سيد قطب : مرجع سابق ، ص ص ٣٥٠، ٣٥١ ، بتصرف .

مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ (النحل : ١٢(١٨) .

١٩ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على أن الله سخر الكون للإنسان كي يعمر الأرض وفق منهج الله ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالقرآن الكريم .

٢– الكون المغيب : (غير المشاهد)

هو الذي يسمى عالم الغيب ، فهو عالم لا يدخل في حدود الكون المادي الذي يمكن أن ندركه ، ومن هذا العالم : –

الروح : هناك شيء اسمه الروح ، وهو مكون من مكونات الإنسان ، ومن أمر الله تبارك وتعالى ، قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ﴾ (الإسراء : ٨٥) .

الملائكة : وهم ليسوا كالبشر يأكلون ، ويشربون ، وينامون ، ويتصفون بالذكورة أو الأنوثة وإنما هم عالم آخر ، قائم بنفسه ، ومستقل بذاته ، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية ، ولهم قدرة على أن يتمثلوا بصورة بشرية ، وغيرها من الصور الحسية ، فقد جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلا في صورة بشرية :﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ (مريم : ١٦ ،١٧) ، والملائكة خلقهم الله من نور ، كما خلق آدم من طين ، وكما خلق الجان من نار : روى مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم " ٤٠ . ومسكنهم السماء وينزلون منها بأمر الله : روى أحمد والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لجبريل عليه السلام " ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال : فنزلت :﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا ﴾ (مريم : ٦٤) .

وخلقهم متقدم على خلق الإنسان بدليل إخبار الله له بأنه سيخلقه ويجعله خليفة في الأرض : قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (البقرة : ٣٠) ، وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله ، قال تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (النحل : ٥٠) . وهم يتفاوتون في الخلق : قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ (فاطر:١)، ويتفاوتون في المقام: قال تعالى:﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾

٤٠ سيد سابق : مرجع سابق . ص١١٢ .

(الصافات: ١٦٤).

وعملهم ينقسم إلى :-

أ. العمل الروحي : ويتلخص فيما يلي :

١) التسبيح والخضوع التام لله : قال تعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ (الأعراف : ٢٠٦) .

٢) حمل العرش : قال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ﴾ (غافر : ٧) . ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (الحاقة : ١٧) .

٣) التسليم على أهل الجنة ، قال تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم ﴾ (الرعد : ٢٣، ٢٤) .

٥) تعذيب أهل النار ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (التحريم : ٦) .

٦) النزول بالوحي : وملك الوحي جبريل – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه ﴾ (البقرة : ٩٧) .

ب . عملهم في الطبيعة مع الإنسان :

– وللملائكة عمل في تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهواء ، ومن سوق السحاب ، وانزال المطر والغيث وإنبات النبات ، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس . وهم يلازمون الإنسان في حياته كلها ، وبعد مماته ، يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء ، وعند الجماع ، فاستحيوهم وأكرموهم " [٤١] .

– تنشيط القوى الروحية الكائنة في الإنسان بإلهام الحق والخير : قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (البقرة : ٢٦٨) ، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرأ هذه الآية عقب قوله : " إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملائكة لمة ، فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة المَلَك ، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان " [٤٢] ، إلى غير ذلك مما هو مسجل للملائكة من أعمال في القرآن الكريم والحديث الشريف .

الجن : وقد وصفوا بأنهم كانوا يسترقون السمع وأن فيهم القدرة على تصريف الأمور أكثر من قدرة البشر . قال تعالى : ﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك . وإني عليه لقوي أمين ﴾ (النمل : ٣٩) .

---

٤١ المرجع السابق ، ص١١٩ .

٤٢ المرجع السابق ، ص١١٩ .

ومن الجن من هو مؤمن قال تعالى : ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (الجن : ١) ، ومن الجن صنف من الشياطين ، يزينون للناس الأعمال الضارة والمعاصي المهلكة ، قال تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قُضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ (إبراهيم : ٢٢) ، وقال تعالى : ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ (النمل : ٢٤) .

الملأ الأعلى : ومن عوالم الملإ الأعلى سدرة المنتهى ، والعرش ، والكرسي ، واللوح المحفوظ ، والبيت المعمور ، . . وغيرها مما لا يعلمه إلا الله ؛ قال تعالى : ﴿ ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون ﴾ (ص : ٦٩) ، وقال تعالى : ﴿ . . . ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى ﴾ (النجم : ١٣ (١٧) .

٢٠ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على أن الكون كله أثر من آثار قدرة الله الدالة على وجوده ووحدانيته ، وأن يوضح المحتوى ذلك بالنصوص القرآنية .

الإيمان بالغيب : يقول الأستاذ سيد قطب عن طبيعة الغيب في التصور الإسلامي : " يقرر القرآن الكريم أن هناك عالما للغيب وعالما للشهادة . . . والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الفرد فيجتاز بها مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير الذي تدركه الحواس ، وهذه عظمة الأثر في التصور الإسلامي للوجود كله " ٤٣ .

٢١ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على أن الإيمان بالغيب أولى صفات المتقين ، وأن يوضح المحتوى ذلك بالقدر الكافي من القرآن الكريم .

- الصلة قوية بين الإنسان والكون : " فتماسك السماء لأجل الإنسان ، والقاء الرواسي في الأرض ليستقر عليها الإنسان والماء الماثل عليها من السماء بقدر معلوم ، ووقت معلوم لحياة الإنسان ، ولم يكن ذلك من العبث واللعب " ٤٤ .

٢٢ - لذا ينبغي أن تنص الأهداف في مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على العلاقة بين الكون المغيب والإنسان ، وضرورة أن يتضمن المحتوى ما يفهم منه التلاميذ الصلة القوية بين هذا الكون والإنسان من خلال النصوص القرآنية .

وذلك على ضوء النصوص السابقة التي توثق الصلة بين الإنسان والكون بعكس التصورات الضالة التي يعتقدها الوثنيون الإغريق والرومان والتي تقوم على أساس الصراع بين عناصر الكون والإنسان وأن على الإنسان في

---

٤٣ سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ١ ،ص٣٩ ، بيروت ، دار الشروق ، ط١٠، ١٤٠٦هـ .

٤٤ خالد الرفاعي : وجود الله ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص٧٨ .

معركته مع الكون أن يقهر الطبيعة ، ولكن المنهج القرآني قرب ما بين الإنسان والكون ، ورفض مفهوم العداوة القائم بين الإنسان والكون بأن أوضح أن الله خالق هذا الكون وهو خالق الإنسان . واقتضت حكمته تعالى أن يجعل طبيعة هذا الكون بحيث تسمح بنشأة هذا الإنسان . وأودع في الإنسان من الاستعداد ما يسمح له بالتعرف على بعض نواميس الكون ، واستخدامها في حاجته " ٤٥ .

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسوة الحسنة فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يحب هذا الكون ، فحين يرى الهلال كان - صلى الله عليه وسلم - يقول : " يا هلال ربي وربك الله " ٤٦ . وقد قال - صلى الله عليه وسلم - عن جبل أحد : " هذا جبل يحبنا ونحبه " ٤٧ .

" هذا هو الشعور الإسلامي الصحيح تجاه هذا الكون ، وهو لا ينشأ في القلب إلا بالمعرفة الصحيحة لحقيقة الكون كما يعرضها المنهج القرآني " ٤٨ .

يقول فرحان " والخلاصة أن على منهج التربية الإسلامية أن يوطد صلات الوحدة وعلاقات الترابط بين الإنسان والكون والحياة ، فالله الواحد الأحد الفرد الصمد خالق الكون والإنسان والحياة في انسجام كامل ، فالكون صديق للإنسان إذا عرف نواميسه (عن طريق التعليم) ، وفي عناصر الكون ما يناسب استمرار الحياة ما شاء الله لها أن تستمر ، إذا عرف الإنسان ذلك وتعلم كيف يُكيف بيئته لتناسب هذه الحياة ، فبين الكون والحياة صداقة طبعية ، وانسجام أصيل ، وليس بينهما عراك مستمر وصراع مخيف " ٤٩ .

٢٣ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على بعض مكونات الكون المغيب مما تحدث عنه القرآن الكريم في حدود مستواهم لضرورة التعامل اليومي مع مفرداته : كالملائكة ، والجن . . . إلخ ، وأن يتضمن المحتوى القرآني ما يوجه إلى ذلك ويوضحه .

معايير الفصل الثالث :

١- ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على مفهوم التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لهذا التصور .

٢- يجب أن تنص أهداف مقرر القرآن الكريم في مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على حقيقة الألوهية من خلال آثار صفات الله الفاعلة في هذا الوجود ، وأن يتضمن محتوى هذا المقرر

---

٤٥ حامد صادق : الكون والإنسان في التصور الإسلامي ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ، ص٩٢ .

٤٦ الترمذي : الجامع الصحيح ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، ط١ ، حمص ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .

٤٧ الإمام مسلم : شرح النووي ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، ص ١٦٢ .

٤٨ سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ط١ ، بيروت ، دار الشروق ١٤٠٦ ، ص ٢٤٧،٢٤٨ .

٤٩ اسحاق أحمد فرحان : التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، دارالفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م ، ص١٨ .

- موضوع البحث - من النصوص القرآنية ما يتعرف منه التلاميذ على هذه الحقيقة .

٣ - ينبغي أن تؤكد أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على أن الألوهية الحقة إنما هي لله الواحد القهار ، وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم هذه الحقيقة .

٤ - ينبغي أن تنص أهداف مقرر القرآن الكريم في مرحلة التعليم الأساسي على أن يتعرف التلاميذ على مفهوم العبادة في الإسلام الذي هو أعم من أركان الإسلام الخمسة ، وضرورة أن يتضمن مقرر القرآن الكريم نصوصا متنوعة تحت عنوان " العبادة " .

٥ - ينبغي أن تنص أهداف المرحلة - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على الفرق بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، وعلى المحتوى أن يوضح ذلك . مع التأكيد على مفهوم العبودية الذي يشمل كل أنواع السلوك الإنساني بما في ذلك المعاملات .

٦ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على مفهوم الدين في التصور الإسلامي الذي هو عقيدة تنبثق منها شريعة لجميع شئون الحياة ، مصدرها الأول القرآن الكريم ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص القرآنية .

٧ - ينبغي أن تنص أهداف - مرحلة التعليم موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على علاقة الإيمان بالإسلام والإحسان والدين ، وضرورة أن تقدم لهم النصوص القرآنية الموضحة لذلك في المحتوى .

٨ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على المقصود من الإيمان بالله ، وضرورة أن تقدم لهم النصوص القرآنية الموضحة لبيان الإيمان بالله بالقدر الكافي في المحتوى .

٩ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على وجوب الإيمان بالملائكة ، وضرورة تقديم المحتوى القرآني الموضح لذلك .

١٠ - يجب أن تنص الأهداف في مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على أن الإيمان بالكتب السماوية واجب ، وضرورة أن يُقدم لهم المحتوى النصوص القرآنية التي تثبت توثيق هذه الكتب إلى الله وضرورة الإيمان بها .

١١ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم- موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على حقيقة العلاقات بين القرآن وسائر الكتب السماوية الأخرى التي يتضح منها أن كتاب الله واحد كماله وتمامه القرآن ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص الكافية من القرآن الكريم .

١٢ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على حقيقة الرسالة التي ختمت بالقرآن الكريم ، وضرورة توضيح ذلك لهم بالنصوص القرآنية في المحتوى .

١٣ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم موضوع الدراسة على أن يتعرف التلاميذ على حقيقة الرسل وكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم . وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالقرآن الكريم .

١٤ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف التلاميذ على أن الإيمان

بالرسل واجب ، وضرورة أن يقدم إليهم محتوى القرآن ما يوضح لهم ذلك .

١٥ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على أن الكون غيب ومشهود ، وأن يوضح لهم المحتوى ذلك .

١٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على كيفية التعرف على مفردات الكون المشهود ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص القرانية .

١٧ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على بعض الجمال الذي احتواه هذا الكون في جوانبه المختلفة وصلح عليه أمره ، وضرورة أن يتضمن المحتوى من النصوص القرانية ما تتضح به هذه الحقيقة .

١٨ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على كيفية التعامل مع مفردات الكون المشهود كالماء والهواء والأشجار ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالنصوص القرآنية الكافية .

١٩ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على أن الله سخر الكون للإنسان كي يعمر الأرض وفق منهج الله ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك بالقرآن الكريم .

٢٠ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على أن الكون كله أثر من آثار قدرة الله الدالة على وجوده ووحدانيته ، وأن يوضح المحتوى ذلك بالنصوص القرآنية .

٢١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على أن الإيمان بالغيب أولى صفات المتقين ، وأن يوضح المحتوى ذلك بالقدر الكافي من القرآن الكريم .

٢٢ – ينبغي أن تنص الأهداف في مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف التلاميذ على العلاقة بين الكون المغيب والإنسان ، وضرورة أن يتضمن المحتوى ما يفهم منه التلاميذ الصلة القوية بين هذا الكون والإنسان من خلال النصوص القرآنية .

٢٣ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على بعض مكونات الكون المغيب مما تحدث عنه القرآن الكريم في حدود مستواهم لضرورة التعامل اليومي مع مفرداته : كالملائكة ، والجن . . . إلخ ، وأن يتضمن المحتوى القرآني ما يوجه إلى ذلك ويوضحه .

خلاصة هذا الفصل :

تحدث الباحث في هذا الفصل عن مفهوم التصور الإسلامي وأورد بعض التعريفات السابقة له ، ثم استخلص تعريفاً له ، بعد أن أوضح المقصود بالتعريفات السابقة ، ليكون التعريف المستخلص جامعا لمقصود التعريفات السابقة ، ثم بين أهمية مفهوم طبيعة التصور الإسلامي بالنسبة للإنسان ، وأنها ضرورة لا غنى له عنها ، إذ على الإنسان أن يتفاعل مع الكون الموجود فيه ، وهذا التفاعل يجب أن يكون في ضوء تعاليم الإسلام : من أن هذا الكون

سخر للإنسان كي يعبد الله على بصيرة ، ويحقق ما وجد من أجله من استخلاف في الأرض وعمارتها على هدى من التصور الإسلامي . . .

ثم إن الباحث رأى أن التصور الإسلامي له خصائص . وهي – المميزة له – عما سواه من التصورات الأخرى فأشار إليها في عُجالة لم تخل بالمقصود منها ، ثم أردف ذلك بشيء من التفصيل والتوضيح عن حقيقة الألوهية كمقوم أساسي من مقومات التصور الإسلامي ، ولما كان الحديث عن حقيقة الألوهية يستدعي بالضرورة معرفة حقيقة العبودية فلقد تحدث الباحث عنها ، وعن مفهوم العبادة ، ولما كان الدين الإسلامي يتحقق بمعرفة الألوهية الحقة ، والقيام بواجبها الذي يتمثل في العبودية الحقة تحدث الباحث بعد ذلك عن (الدين) ثم رأى أن الدين هو العامل في تحرير الوجدان من كل رق فتحدث عن تحرير الوجدان وأثره في الحياة العملية ، إذ إن ديننا عبارة عن عقيدة صحيحة ينشأ عنها شرع يجب تطبيقه في النظام الاجتماعي ، وإذا لم يتحقق هذان الأساسان فلا دين بفقدهما . ولا دين بفقد أحدهما ، بل ولا تحقُّقَ للدين بفقد شيء منهما .

ثم تحدث عن الإيمان والمقصود به (ومدى صلته بالإسلام والإحسان باختصار) كما تحدث عن أركانه ، والصلة بينها : من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، كما أوضح أن كتاب الله واحد آتى الله منه الأمم السابقة ما يصلح شأنها ، وأعطى الكتاب كله للأمة المحمدية ، ثم أوضح الباحث : لماذا كان الكتاب كله (القرآن) للأمة المحمدية . ولماذا محمد – صلى الله عليه وسلم – الرسول الخاتم . ولماذا كانت رسالته الرسالة الخاتمة . ولما كان هذا الشأن العظيم لرسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – أوضح الباحث مفهوم القرآن الكريم – أصل – هذه الرسالة – وواجب المنهج التعليمي نحوه .

ثم تحدث الباحث عن الكون وأوضح مفهومه ، ثم ذكر الحديث عن الكون المشهود ، ثم الكون المغيب ، وكيفية التعامل مع مفردات كل منهما في ضوء التصور الإسلامي .

وكان منهج الباحث في هذا الفصل – شأنه شأن بقية الفصول – أنه يتحدث عن المفردة : مفهوما ومقصودا . . مستعينا في ذلك بما ورد في الرسالات السابقة ، وبخبرته الشخصية . وما يتراءى من مرجحات تجعله يحدد مفهومه الخاص فيها ، ثم يورد التوجيه القرآني بالقدر المناسب ، ثم يشتق من مضمون الحديث عن المفردة المعيار المناسب أو أكثر من معيار إن رأى ضرورة لذلك ،وتكون المعايير في مواضعها – عقب كل مفردة – ثم تجمع أخيرا في نهاية الفصل ؛ لأنها المقصود الأعظم من البحث ، إذ هي الأداة التي ستستخدم في تقويم " مقرر القرآن الكريم " – موضوع البحث – ، وأخيرا الخلاصة .